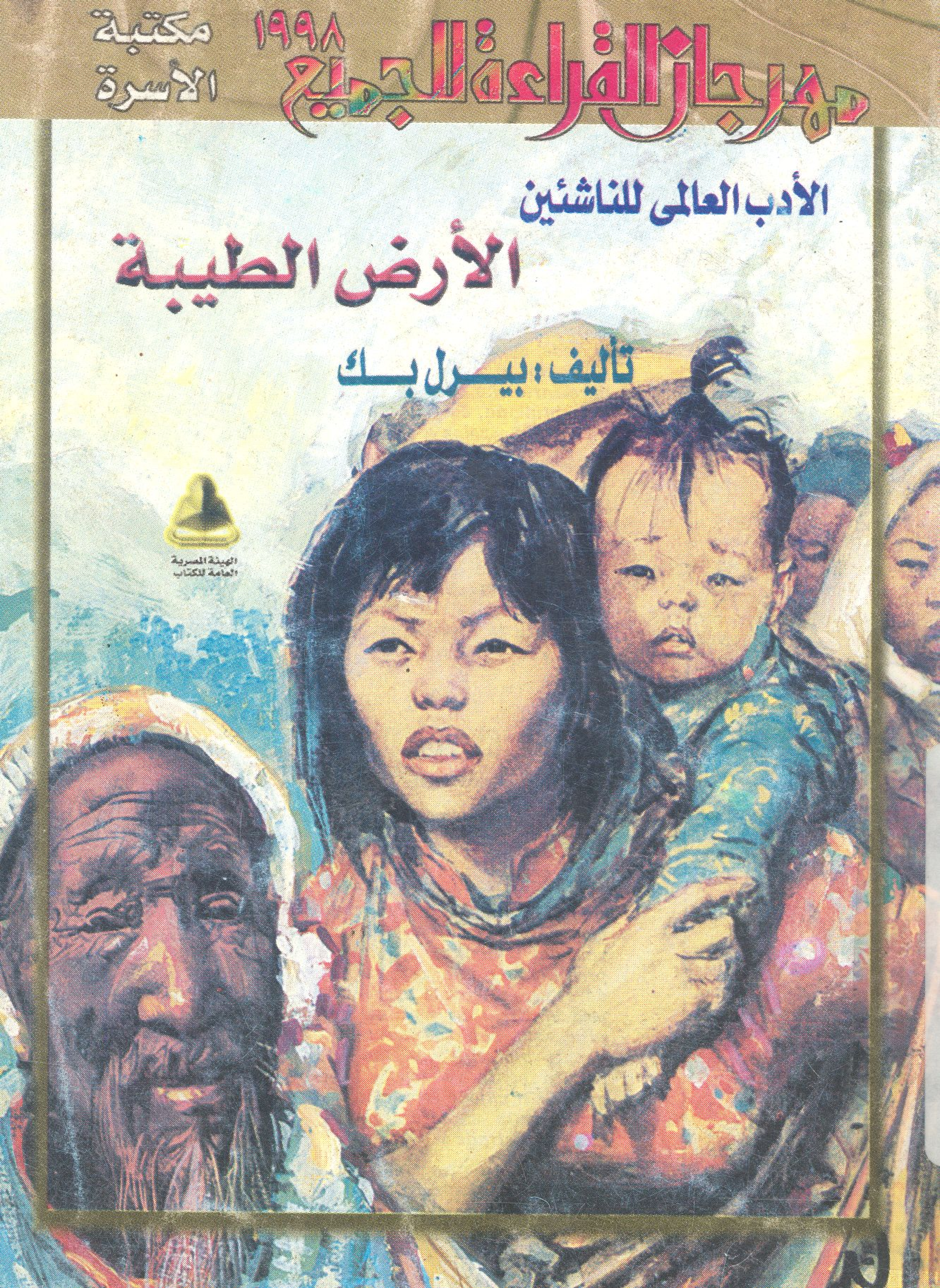

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨
مكتبة الأسرة
الأدب العالمى للناشئين
الأرض الطيبة
تأليف: بيرل بك
الهيئة المصرية العامة للكتاب

الأرض الطيبة

الأرض الطيبة

تأليف: بيرل بك

ترجمة: صبرى الفضل

مراجعة: مختار السويفى



مهرجان القراءة للجميع ٩٨

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العالمي للناشئين)

الأرض الطيبة

تاليف: بيرل بك

ترجمة: صبري الفضل

مراجعة: مختار السويفي

الغلاف: للفنان جمال قطب

الإشراف الفني:
للفنان محمود الهندي

المشرف العام

د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الاعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

مقدمة



ومازال نهر العطاء يتدفق، تتفجر منه ينابيع المعرفة والحكمة من خلال إبداعات رواد النهضة الفكرية المصرية وتواصلهم جيلاً بعد جيل. ومازلنا نتشبث بنور المعرفة حقاً لكل إنسان ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة فى كل بيت.

شبَّت التجربة المصرية «القراءة للجميع» عن الطوق ودخلت «مكتبة الأسرة» عامها الخامس يشع نورها ليضىء النفوس ويثرى الوجدان بكتاب فى متناول الجميع ويشهد العالم للتجربة المصرية بالتألق والجدية وتعتمدها هيئة اليونسكو تجربة رائدة تحتذى فى كل العالم الثالث، ومازلت أحلم بالمزيد من لآلىء الإبداع الفكرى والأدبى والعلمى تترسخ فى وجدان أهلى وعشيرتى أبناء وطنى مصر المحروسة، مصر الفن، مصر التاريخ، مصر العلم والفكر والحضارة.

سوزان مبارك

على سبيل التقديم

تواصل مكتبة الأسرة ٩٨ رسالتها التنويرية وأهدافها النبيلة بربط الأجيال بتراثها الحضارى المتميز منذ فجر التاريخ وإتاحة الفرصة أمام القارئ للتواصل مع الثقافات الأخرى، لأن الكتاب مصدر الثقافة الخالد هو قلعتنا الحصينة وسلاحنا الماضى فى مواكبة عصر المعلومات والمعرفة.

د. سمير سرحان

المؤلفة

ولدت بيرل بك في الولايات المتحدة الامريكية • أخذها والداها وهي طفلة صغيرة ألى الصين حيث يعملان في التبشير للديانة المسيحية •

وعاشوا في شانكيانج على نهر ناجتسي كيانج ، وذهبت بعدها الى مدرسة داخلية في شنجهاي • كانت بيرل بك تشعر بأنها صينية ، لكنها في سن السابعة عشرة ذهبت الى اوربا ، ثم أكملت تعليمها في كلية بامريكا •

وفي عام ١٩١٧ تزوجت من الدكتور لو... بك ، فذهبت معه الى شمال الصين حيث يعمل لمدة خمس سنوات ثم الى نانكنج حيث قامت بتدريس الأدب الانجليزى فى جامعات مختلفة •

وفي عام ١٩٢٨ ظهر أول كتاب لها « رياح الشرق، ورياح الغرب » ثم « الأرض الطيبة » فى عام ١٩٣١ ، الذى كان نجاحه منقطع النظير ، اذ ترجم فورا الى عشرين لغة ، وأخرج فيلما ، بجانب حصوله على جائزة بولتزر ، التى تمنح كل عام لأفضل كتاب •

تزوجت بيرل بك ثانية فى عام ١٩٣٥ من ريتشارد ج والش ، رئيس تحرير صحيفة « آسيا » وكان لديها ابنتان كما تبنت أربعة أطفال آخرين •

وبجانب تاليفها لكتب عديدة ، وقيامها بالترجمة من اللغة الصينية ، فقد عملت بيرل بك من أجل تفهم الغرب للشعب الصينى بشكل أفضل ، الشعب الذى عرفته جيدا ، فأكسبها هذا العمل جائزة نوبل للسلام فى عام ١٩٣٨ ، وبقى ذلك الهدف من أعظم اهتماماتها •

وبرغم حدوث كثير من التغيرات العظيمة فى الصين منذ صدور « الأرض الطيبة » فلم يقلل الزمن من عنصر التشويق فى هذه القصة ، التى لا تزال تعتبر من أعظم القصص الانسانى . وهى تبين لنا نمطا من الحياة مختلفا تماما عن حياتنا ، وفى نفس الوقت مشابه تماما لها .

مقدمة

منذ عشرين سنة ، وفي صباح يوم غائم من شهر فبراير بمدينـــة نانكنيج ، التي كانت فى ذلك الوقت، عاصمة لحكومة جديدة [illegible]سين ، صعدت الى حجرتى الصغيرة ، [illegible]ت كتابة هذه القصة ٠

وكان من الطبيعى أن تنطلق أفكارى الأولى نحـو شعب هذا البلد ، وقلبت فى ذاكرتى فبرز هؤلاء الناس فى بساطتهم وطبيعتهم الطيبة ، فرأيت « وانج لانج » و « أو ــ لان » وأطفالهما ؛ وبيتهما الريفى ، وصرعهم من أجل الحياة والاستمتاع بها ٠ وكانوا صامتين برغم

انهم يمثلون وامثالهم أربعة أخماس الشعب الصينى كله • وهم يمثلون القوة العظمى لا للصين وحدها ، بل العالم أجمع •

ولمعرفتى بهؤلاء الناس الطيبين ، وفى عقلى وفى قلبى أحاسيس قلوبهم التى تعلمتها خلال سنوات عمرى منذ بداية طفولتى ، بدأت اكتب فى ذلك اليوم من شهر فبراير دون ان توجد قصة أو خطة مسبقة ؛ فقط كان هؤلاء الرجال والنساء وأطفالهم يقفون امامى ، وبدأت [illegible] عنهم • فهذا الزوج وزوجته مع أطفالهما كانوا من ضمن مئات [illegible] الذين يشبهونهم ، ويعيشون تقريبا نفس معيشتهم ، وذلك [illegible] طويلة من السنين •

وفى خلال السنوات العشرين الماضية [illegible] أحداث كثيرة •• وفى يوم من الايام أخـــذت الكتاب ثانيه وقلبت فيه لأرى ان كان قد انتهى عمــره • وتوهمت بأنه لا داعى لطباعة كتاب مضى عصره •• فاذا كانت الصين القديمة قد ولت ، واذا كان لم يعد هناك أناس أمثال « وانج لانج » و « أو ــ لان » ، واذا كانوا قد

أصبحوا ملكا للتاريخ الآن ، فلندعهم اذن مدفـونين هناك ٠

ولكن ، يمكن ، بالطبـع ، القــول بأن الشعب الصينى هو كما كان دائما ٠ فلقد أدرك هذا الشعب الحياة قبلنا ، وقبل أن يولد جنسنا ٠٠ ووجدت نفسى راغبة فى أن أدع قصتى باقية كما كتبتها ، فمازل « وانج لانج » وزوجته ، وأطفالهما يعيشون ، وآخرون يشبهونهم يولدون كل يوم على أرض الصين ٠

بيرل بك

بركاسي ، بنسلفانيا

يونيو ١٩٤٩

الفصل الأول

انه يوم زفاف وانج لانج · لم يستطع فى البداية ، بعدما فتح عينيه فى عتمة الستائر المحيطة بفراشه ، أن يعرف لماذا يبدو ذلك اليوم مختلفا عن غيره من الأيام · فالمنزل ساكن فيما عدا السعلة الضعيفة لأبيه العجوز ، التى تقع حجرته أمامه ، عبر الحجرة الوسطى · وكل صباح كانت سعلة الرجل العجوز هى أول صـــوت يسمعه · وعادة ما يستمع اليها وانج لانج ولا يتحرك ، الا حين يسمعها تقترب ، عندما يفتح أبوه باب الحجرة ·

ولكنه لم ينتظر هذا الصبـاح ، وقفــز وأزاح

الستائر عن فراشه ، فظهرت السماء حمراء داكنة من خلال الفتحة الصغيرة المربعة الموجودة فى النافذة ، حيث يلعب الريح بورقة ممزقة ٠ فذهب الى الفتحة ونزع الورقة وألقاها بعيدا ، وقال لنفسه :

– انه الربيع ، وهذا ما لا أحتاجه !

كان خجلا أن يجهر برغبته في أن يبدو المنزل مرتبا فى هذا اليوم ٠ لم تكن الفتحة كبيرة بما فيه الكفاية ، لكنه دفع بيده الى خارج الفتحة ليشعر بالهواء ٠ أحس بريح رقيقة تهب من الشرق بشكل لطيف ٠٠ ريح مليئة بالمطر ٠ انه لفأل طيب ، وقد لا تمطر السماء هذا اليوم ، ولكن اذا استمرت هذه الريح ، فستمطر خلال أيام قليلة ٠ وهذا شىء جديد ٠ لقد قال لأبيه بالأمس ، بأنه اذا استمرت أشعة الشمس الحارة ، فلن يتفتح القمح أثناء نموه ٠٠ والآن كما لو أن السماء قد اختارت هذا اليوم لتريد له الخير ، وستثمر الأرض ثمارها ٠

وأسرع خارجا الى الحجرة الوسطى ، وهو يقوم بارتداء ثيابه الزرقاء ، ويعقد حول وسطه حزامه

المصنوع من القماش القطنى الأزرق . وترك الجزء العلوى من جسده عاريا الى أن يسخن بعض الماء ليغتسل ، وذهب الى المبنى المتكىء على المنزل ، انه المطبخ ، وفى ظلامه أحنى الثور برأسه من خلف الجهة المقابلة للباب ، وأصدر صوت تحية خفيض . كان المطبخ مصنوعا من قوالب الطين ، كما أن المنزل عبارة عن قطع مربعة من الأرض محفورة من حقولهم ، ومسقوفة بقش قمحهم . ولقد قام جده فى شبابه ببناء الفرن من طين أرضهم ، وهو الفرن الذى أصبح الآن أسود فاحما بسبب السنوات العديدة فى تحضير الطعام . ويعلو هذا الموقد الطينى وعاء عميق مستدير مصنوع من حديد .

ملأ وانج لانج جزءا من هذا الوعاء بالماء الذى أتى به فى اناء خزفى موجود بالقرب منه . وأحضره بحرص لأن الماء ثمين ، ثم رفع الاناء بشكل فجائى ، وأفرغ الماء كله فى الوعاء . واليوم سيتحمم ويغسل كل جسمه ! ومنذ أن كان طفلا صغيرا على ركبة أمه لم ير أحد جسده كله . واليوم سيتعرى أمام غيره ، ولذلك يريد أن يكون جسمه نظيفا .

ودار حول مكان الطبخ ، وانتقى بعضا من العشب وأوراق الشجر الجافة الموجودة في ركن المطبخ ، ورتبها بشكل مرهف في فم الفرن ، مستفيدا بكل ورقة منها . ثم أشعل لهبا من حجر صوان قديم بضربه في قطعة من الحديد ، وألقى به في القش ، فكانت نارا . انه آخر صباح سيشعل فيه النار . لقد أوقدها كل صباح منذ وفاة أمه ، من ست سنوات .

لقد أوقد النار وسخن الماء وسكبه في قدر وأخذه الى الحجرة التي يجلس فيها أبوه على فراشه يسعل ويتحسس الأرض باحثا عن حذائه . وكان الرجل العجوز طيلة هذه السنوات الست ينتظر ابنه كل صباح ليحضر له الماء الساخن لتخفيف سعلته الصباحية . ويمكن للأب وللابن أن يرتاحا الآن ، فستأتي سيدة الى المنزل .. ولن يستيقظ وانج لانج ثانية أبدا مع شروق الشمس صيفا وشتاء ، ليشعل النار ، ويمكنه أن يأتيه هو أيضا قدر من الماء . وعندما تطرح الأرض ثمارها ، فسينعم بأوراق الشاي المغلية في الماء .. وهذا ما كان يحدث كل بضعة سنوات .

واذا تعبت المرأة فسيكون أولادهـــا موجودين ، ليوقدوا النار ٠٠ أولاد كثيرون ستنجبهم لوانج لانج٠ وتوقف وانج لانج عند فكرة الأطفال ، وهم يركضون هنا وهناك فى حجراتهم الثلاث ٠ كانت الحجـــرات الثلاث تبدو دائما أكثر مما يريدون فى منزل نصفه فارغ منذ وفاة أمه ٠ وكانوا دائما ما يصدون أقاربهم المكتظين أكثر منهم - فيأتى عمه بأطفـــاله الكثيرين ويقول :

- كيف لرجلين اثنين فقط يحتلان مسكنا فسيحا كهذا ؟ ألا يستطيع الأب وابنه أن يناما سويا ؟ فدفء جسد الصغير سيخفف من سعلة العجوز ٠

لكن كان أبوه يرد دائما :

- انلى أحتفظ بفراشى لحفيدى ، فهـــو الذى سيدفىء عظامى فى شـيخوختى ٠ ظهر هيكل الرجل العجوز خارج الباب ، وهو يلملم ثيابه من حوله ، ويسعل ويبصق ثم أخذ يقول :

- كيف لايوجد ماء الى الآن ليدفىء رئتى ؟

فخجل وانج لانج وقال من خلف الموقد :

ـ هذا العشب مبتل ··· والريح رطبة ···

واستمر الرجل العجوز فى السعال ، ولن يتوقف حتى يغلى الماء ·· ووضع وانج لانج بعضا من الماء فى طاسة ، ثم فتح علبة موضوعة بجوار الموقد ، وأخذ منها كمية لا بأس بها من أوراق الشاى الجافـــة الملتوية . ونشرها على سطح الماء فتفتحت عينا الرجل العجـــوز بشراهة ، **ولكنه بدا فى الحال يشكو قائلا :**

ـ لماذا أنت مبذر ؟ الشاى مثل أكل الفضة ·

فأجاب وانج لانج بابتسامة مقتضبة :

ـ انه اليوم المنشود ·· اشرب ، وكن مرتاحا ·

أخذ العجوز الطاسة مراقبا أوراق الشاى وهى تتفكك من التوائها وتستقيم على سطح الماء ولا يقدر على تحمل شرب هذا المشروب الثمين · **فقال وانج لانج :**

ـ سيبرد !

فقال العجوز فى فزع :

ـ حقا .. حقا .. ؟ !

وبدا يأخذ رشفات كبيرة من الشاى الساخن كطفل متشبث بثدى أمه ، ولكنه لم ينس منظر وانج لانج وهو يأخذ الماء بسرعة من الوعاء الى الحمام الخشبى العميق ، فرفع رأسه ونظر بصرامة لولده ، **ثم قال فجأة :**

ـ ها هنا ماء يكفى زرعا ليثمر !

فقال وانج لانج بصوت خفيض :

ـ اننى لم أستحم أو أغسل جسمى كله منذ رأس السنة .

وخجل أن يقول لأبيه بأنه يريد أن يكون جسمه نظيفا عندما تراه امرأة ولأول مرة ، وأسرع خارجا ، وهو يحمل حمامه الخشبى الى حجرته . وذهب الأب الى الحجرة الوسطى **وهو يقول :**

ـ انه لشىء سيىء اذا عودنا المرأة على ذلك ـ شاى منثور فى ماء الصباح ، واستحمام بكل هذا الماء !

فصاح وانج لانج :

– انه يوم واحد فقط !

ثم أردف قائلا :

– وسألقى بالماء على الأرض عندما أنتهى ، وبذلك لن يضيع هباء .

سكت الأب عندما سمع ذلك . وخلع وانج لانج ملابسه ، وبلل قطعة صغيرة من القماش فى الماء المغلى ، وأخذ يغسل جسمه الداكن باتقان ، على الضوء المنسكب فى شعاع مربع ، من الفتحة الصغيرة الموجودة بالحائط ، ثم ذهب الى صندوق ، وسحب منه بذلة جديدة من قماش قطنى أزرق .

قد يشعر بالبرد بعض الشىء هذا اليوم بدون حشو الملابس الشتوية ، ولكنه فجأة لم يعد يحتمل أن يضعها على جسمه النظيف ، وغطاؤها ممزق وقذر والحشوة رمادية رطبة تخرج من الثقوب .. لم يكن يريد أن تراه هذه المرأة لأول مرة والحشوة تطل ظاهرة من

ملابسه ، فقد تغسلها وترفيها فيما بعد ، ولكن ليس أول يوم ، وسحب فوق الملابس القطنية الزرقاء معطفا طويلا مصنوعا من نفس القماش ، وهو الوحيد لديه والذى يرتديه فى أيام الاعياد فقط ، عشرة أيام تقريبا فى السنة . وبأصابع سريعة فك ضفيرة شعره الطويلة المدلاة خلف ظهره ، وأخذ مشطا خشبيا وبدأ يمشط شعره . ولفه الى أعلى بسرعة وبنعومة ، ثم لفه حول رأسه ، وخرج حاملا حمام الماء .

كان قد نسى الافطار ، وكان ما عليه الا أن يحرك قليلا من الماء فى طحين الذرة ، ويعطيه لأبيه ؛ اما بالنسبة له فيمكنه الا يأكل ؛ وحمل الحمام الخشبى الى عتبة الباب وسكب الماء على الأرض بالقرب من الباب .

كان هذا آخر صباح عليه أن يجهز الطعام فيه لأبيه ! ووضع قليلا جدا من الماء فى الطاسة فغلى بسرعة ؛ ثم حرك طحين الذرة فيه ، وأخذه الى الرجل العجوز وقال :

ـ سنتناول الأرز الليلة يا أبى ، وحتى ذلك الحين اليك بالذرة ،

فقال الرجل العجوز وهـــو يجلس على المائدة ، ويحرك الخليط الأصفر السميك :

ـ لا يوجد الا قليل من الارز المتبقى في السلة ٠

فقال وانج لانج :

ـ سنأكل أقل مما أكلناه فى عيد الربيع ٠

لكن العجـــوز لم يسمع ، حيث كان يشرب من الطاسة بصوت مرتفع ٠

دخل وانج لانج الى حجرته بعد ذلك ، ومرر بيده على رأسه المحلوق ، وعلى وجهه ٠٠ ربما كان من الأفضل أن يحلق ؟ فالوقت مازال مبكرا ، ويمكنه أن يمر على شارع الحلاقين قبل أن يذهب الى المنزل الذى تنتظره المرأة فيه ٠٠ أجل سيقوم بذلك اذا بقى لديه نقود ٠

وأخذ من حزامه كيسا صغيرا متسخا من القماش الرمادى ، وعد ما فيه من نقود ، فكان فيه ستة دولارات،

وحفنتين من العملات النحاسية ، ولم يخبر أباه بعد بأنه دعا بعض أصدقائه على عشاء الليلة · ولقد خطط أن يحضر معه من المدينة هذا الصباح بعض اللحم ، وسمكة صغيرة ، وحفنة مكسرات ·· وقد يشترى أيضا بعض الأطعمة البسيطة من الحبوب ليطبخها مع النباتات التى زرعها فى حديقته · ولكنه سيقوم بذلك فقط اذا تبقت معه نقود بعد شراء الزيت والصلصة ··

واذا حلق رأسه ، فربما لن يستطيع أن يشترى طعاما اضافيا ·

وقرر فجأة ·· أن يحلق رأسه !

خرج فى الصباح الباكر ، والشمس تشرق على القمح النامى ·· وانحنى ليتفحص السنابل · كانت لا تزال فارغة ، منتظرة المطر ·· وتشمم الهواء ، وتطلع بقلق الى السماء ، كان المطر قابعا هناك فى السحب الداكنة · يشكل حملا ثقيلا على الريح ·· سيشترى عودا من البخور ذى رائحة حلوة ، ويضعه فى المعبد

الصغير المخصص لاله الأرض • لابد أن يفعل ذلك فى يوم كهذا • • !

وشق طريقه الملتوى بين الحقول على طول الممرات الضيقة ، وظهر جدار المدينة الرمادى من مدى ليس بعيد ، وخلف البوابة الكائنة فى الجـــدار – والتى سيمر منها ، يشرئب المنزل العظيم ، حيث المرأة التى كانت من العبيد وتعمل منذ طفولتها بمنزل هوانج •

كان هناك من يقول :

– من الأفضل أن تعيش وحيـــدا عن أن تتزوج امرأة كانت من الجوارى والعبيد الذين يعملون فى منزل كبير !

ولكنه عندما قال لأبيه :

– ألن يكون لدى امرأة أبدا ؟

اجابه أبوه :

– مع تكلفة الزواج فى هذه الأيام الفاسدة ، وكل امرأة تريد خواتم ذهبية ، وملابس حريرية ، قبل أن

تقترن برجل ٠٠ فلا يبقى الا العبيد اللاتي يقدر عليهن الفقراء ٠

نهض أبوه بعد ذلك ، وتوجه الى منزل هوانج ، وسأل اذا كانت توجد عبدة يمكن الحصول عليها٠ **وقال :**

ـ ليست عبدة صغيرة جدا ، ولا داعى أن تكون عبدة جميلة ٠

لقد عانى وانج لانج من أنها يجب ألا تكون جميلة ٠ وعندما شاهد على وجهه علامات الغضب **صرخ فيه والده :**

ـ وماذا ستفعل بزوجة جميلة ؟ اننا نحتاج لامرأة تعتنى بالمنزل ، وتحمل أطفالا ، وتعمل فى الحقول ٠٠ فهل ستقوم زوجة جميلة بهذه الأمور ؟ بل ستفكر دائما فى الملابس التى تتناسب معها ! كلا ، نحن فلاحون ٠٠ هل تتخيل أن زوجة جميلة ستفكر أن يديك الفلاحتين مبهجة كيدى ابن الرجل الثرى الناعمتين ؟

كان وانج لانج يعرف أن أباه يتكلم الصواب ،ومع

ذلك أخذ يصارع نفسه قبل أن يستطيع الاجـــابة فقال بعنف :

ـ على الأقل لا أتزوج امرأة مصابة بالجُدرى ، أو ذات شفة مشقوقة ٠

حسن ، لقد كانت المرأة غير مصابة بالجدرى ، ولا شفتها العليا مشقوقة ٠

هذا ما كان يعرفه لا أكثر ، فاشترى هو وأبـاه خاتمين ذهبيين ، وحلقا من الفضة ، وأخذهم أبوه الى مالك الفتاة ، ولم يعرف عن الفتاة شيئا خلاف ذلك،وهى التى ستكون زوجته ، وأنه يستطيع أن يذهب فى ذلك اليوم ويأتى بها ٠

وسار فى العتمة الباردة لبوابة المدينة ، ثم انحرف الى اليمين حيث شارع الحلاقين ، وذهب الى أبعد دكان وجلس على المقعد ، وأصدر اشارة للحـــلاق الواقف يتحدث مع جاره فى تراخ ، وجاء الحلاق فى الحال وبدأ يصب الماء الساخن فى وعائه النحاسى ٠

وعندما انتهى ، وعد النقود فى يد الحلاق المبتلة ، انتابته لحظة خوف ٠٠ انها نقود كثيرة ! ولكنه قال لنفسه وهو يسير ثانية فى الشارع ، والريح تلسع فروة رأسه المحلوق :

ـ انها مرة واحدة فقط !

ثم ذهب الى السوق واشترى رطلين من اللحم ، وراقب صاحب المحل وهو يلفها فى ورقة شجر جافة ، ثم اشترى بعد تردد ست أوقيات من لحم مختلف ، وعندما تم شراء كل شىء ، ذهب الى محل واشترى منه عودين من البخور ، ثم أدار خطواته نحو منزل هوانج ٠

وعندما وصل الى بوابة المنزل انتابه الخوف ٠٠ كيف جاء بمفرده ؟ كان يجب أن يطلب أباه ، أو عمه ، أو حتى جاره شينج ، أو أى أحد ليأتى معه ، حيث انه لم يأت الى منزل كبير من قبل ٠٠ كيف استطاع أن يدخل ومعه وليمة عرسه على ذراعه ٠٠ وماذا يقول :

ـ لقد أتيت من أجل امرأة ؟!

وقف عند البوابة فترة طويلة يتطلع اليها ، حيث يقبع حيوانان مصنوعان من الحجر ، وكأنهما حارسان واحد على كل جانب • وكان حارس البوابة متمددا فى تكاسل ، فصاح فى صوت أجش :

ـ ماذا هناك ؟

فأجاب وانج لانج بصعوبة بالغة :

ـ أنا الفلاح •• وانج لانج ••

فأجاب حارس البوابة ، الذى لم يكن مؤدبا الا مع الأصدقاء الأثرياء للسيد والسيدة :

ـ حسن ، وانج لانج الفلاح ، ماذا تريد ؟!

ـ لقد أتيت ـــ لقد أتيت ••

فقال حارس البوابة متظاهرا بالصبر :

ـ هذا ما أراه •

كان صـــوته وانج لانج ينخفض رغما عنــه لدرجـــة الهمس ، وكان وجهـــه ممتلا فى اشراقـــة الشمس •

وهو يقول :

ـ توجد امرأة ٠

فأصدر حارس البوابة ضحكة عالية وهو يزأر :

ـ اذن أنت هو ؟ لقد قيل لى أن أنتظر عريسا اليوم لكنى لم أدرك ذلك والسلة فى ذراعك ٠

فقال وانج لانج منتظرا حارس البوابة أن يدخله :

ـ انها لحمه !

لكن حارس البوابة قال دون أن يتحرك من مكانه :

ـ القطعة الفضية الصغيرة هى المفتاح ٠٠ دعنى أرى ما فى حزامك !

وضحك عندما وضع وانج لانج فعلا ، فى بساطته ، السلة فوق الحجارة ، وهز فى يده اليسرى كل النقود التى تبقت معه بعد التسوق ٠ وكان بها قطعة فضية واحدة ، وأربعة عشر بنسا نحاسيا ٠

فقال حارس البوابة ببرود :

ـ سوف آخذ الفضة .

وأخذ الرجل الفضة فى كمه ، قبل ان يستطيع وانج لانج أن يقول أى شىء ، ثم سار بسرعة عبر البوابة صائحا :

ـ العريس .. العريس !!

وبرغم حنق وانج لانج لما قد حدث ، واندهاشه لصياحه عند قدومه بصوت مرتفع ، لم يستطع أن يفعل سوى أن يتبعه وركض من خلفه بعد أن التقط سلته دون أن ينظر يمنة ولا يسرة . ولم يستطع أن يتذكر شيئا بعد ذلك ، برغم أنها المرة الاولى التى يدخل فيها الى منزل أسرة عظيمة .

وسار ووجهه متوهج ، ورأسه محنى من قاعة الى قاعة ، وهو يسمع هذا الصوت الذى يزأر من امامه ، ويسمع ضحكات من كل جانب .

وفجأة ، بعد أن خيل له أنه عبر مائة قاعة

سكت حارس البوابة ، ودفعه داخل حجرة انتظار صغيرة • ووقف وحيدا بها ، بينما دخل الحارس الى مكان داخل •

وعاد بسرعة هو يقول :

ـ السيدة الكبيرة تقول أن تحضر امامها •

فتقدم وانج لانج ، لكن حارس البوابة أوقفه •

صارخا في اشمئزاز :

ـ لا يمكنك ان تظهر أمام سيدة عظيمة وعلى ذراعك سلة •• سلة طعام ! كيف ستنحني ؟

فقال وانج لانج :

ـ حقا ، حقا !

لكنه لم يجرؤ على أن يضع السلة على الأرض ، لأنه كان يخشى أن يسرق أحد منها شيئا ولم يكن يظن ان العالم كله ، قد لا يرغب في مثل هذه الأشياء •• رطلين من اللحم ، وست أوقيات من لحم من نوع آخر ، وسمكة صغيرة •

رأى حارس البوابة خوفه ٠

فقال فى اشمئزاز كبير :

– فى منزل كهـــذا ، نطعم مثـــل هذا اللحم للكلاب !

وأمسك بالسلة ، ووضعها خلف الباب ، ودفـع بوانج لانج أمامه ، وذهبا عبر ممر ضيق طويل ، يستند سقفه على أعمدة ذات زخارف رقيقة ، ومنـه الى قاعة لم ير مثلها ، وكاد يسقط فوق درجة مرتفعة للبـــاب ، وهـــو يرفع رأسه فى اندهاش ليشـــاهد الدعامات الكبيرة من فوقه الموشاة بالرسوم الملونة ، الا أن حارس البوابة أمسكه من ذراعه ٠

وصرخ فيه :

– هل هذا من الأدب ، أن تسقط على وجهـــك هكذا أمام السيدة الكبيرة ٠

فنظر وانج لانج أمامه فى خجل جم ، فشـــاهد على منصة مرتفعة فى منتصف الحجرة سيدة عجـــوز

جدا .. كان جسمها الصغير الرقيق مكسوا بحـــرير رمـــادى لؤلؤى لامع ، وبجانبها على مقعـــد منخفض غليون أفيون .

وقـــالت :

ـ هل جاء من أجل الفتاة ؟

فاجاب حارس البوابة :

ـ أجل ، أيتها الشيخة الجليلة .

فقال وانج لانج :

ـ اننى لست الا انسانا جلفا يا أيتها الســيدة العظيمة والجليـــلة ، فأنا لا أعرف أى الألفـــاظ التى تستعمل فى مثل هذه الحضرة ! .

فنظرت السيدة العجوز اليه باهتمام ، وكانت ستتكلم ، لولا أن يدها تمسكت بالغليون الذى كانت تعده لها احدى العبيد ، وبدا عليها فورا أنها نسيته ، وتقوست ، ومصت الغليـــون بنهم لفترة ، فانحسرت اليقظة من عينيها ، وحلت محلها غشـــاوة رقيقة من

النسيان ، وظل وانج لانج واقفـــا أمامهــا حتى هم بالرحيل ، فلمحت شكله البشرى ·

فسألت بغضب مفاجىء وكأنها نسيت كل شى

ــ ماذا يفعل هذا الرجل هنا ؟

ولم يقل حارس البوابه شيئا ·

وقال وانج لانج فى ذهول كبير :

ــ انا فى انتظار الزوجة أيتها السيدة العظيمة

فبدات السيدة العجوز تقول .

ــ الزوجة ؟ أية زوجة ؟

لكن العبدة التى بجانبها ، انحنت وهمست لها فقالت :

ــ آه ، أجل لقد نسيت للحظة ــ مسالة بسيطة ــ لقد أتيت للعبدة التى تدعى أو ــ لان ·· أذكر أننــا وعدناها بالزواج بمزارع ·· هو أنت المزارع ؟

اجاب وانج لانج :

ـ هو أنـا !

فقالت السيدة العجوز لعبدتها :

ـ نادى أو ـ لان بسرعة ٠٠ !

وظهر عليها فجأة ، عدم الصبر لانهاء كل هذا ، حتى يتركوها بمفردها فى سـكون الحجرة الكبيرة مع غليون الأفيون ٠

وظهرت العبدة فى التو ٠٠ شكل بشرى مربع طـويل نوعا ما ، مغطى بقماش قطنى أزرق نظيف ، وأخذت تتقدم ، فنظر اليها وانج لانج مـرة ، وأبعـد نظره بسرعة ، وأخذ قلبه يدق بشكل غريب ٠٠ انها زوجته !

فقالت السيدة العجوز بلا مبالاة :

ـ تعالى هنا يا عبدة ، هـذا الرجل جاء من أجلك !

وقفت الفتاة أمام السيدة ، وقد أحنت رأسها وعقدت يديها ، وسألتها السيدة العجوز :

ـ هل أنت مستعدة ؟

فأجابت الفتاة :

ـ مستعدة !

سمع وانج لانج صوتها لأول مرة ، فنظر اليها وهي واقفة أمامه ‥ كان الصوت طيبا بما فيه الكفاية، لا مرتفع ، ولا منخفض ‥ صوت سوى ثابت ، وشعرها مرتب ، وناعم ، ورداؤها نظيف ، ورأى بخيبة أمل فورية أن قدميها ليستا ملفوفتين برباط وأخيرا ، **قالت السيدة العجوز لحارس البوابة :**

ـ احمل صندوقها الى البوابة ، ودعهما يذهبان !

ثم نادت وانج لانج وقالت :

ـ قف بجانبها أثناء كلامي !

وعندما تقدم وانج لانج ، **قالت له :**

ـ لقد جاءت هذه العبدة الى منزلنا وهى طفلة في العاشرة ، وعاشت هنا حتى الآن ، حيث أصبحت في العشرين من عمرها • اشتريتها فى سنة قحط عندما جاءت مع والديها الى الجنوب حيث كانوا لا يجدون ما يأكلونه من الشمال من شانتونج ،واليها عاد والداها ولا أعرف أى أخبار عنهما ، وكما ترى ، فجسمها قوى، ووجهها مربع مماثل لما عليه أهل منطقتها ، وستعمل برباطة جأش فى الفلاحة وستحمل الماء ، وكل ما تريده منها • انها ليست جميلة ، ولكنك لست فى حاجة لعبدة جميلة • فالرجال الذين ليس لديهم ما يفعلونه ، هم الذين يحتاجون لنساء جميلات لتسليتهم • وهى ليست موهوبة ، لكنها تفعل كل ما تؤمر به بشكل جيد ، وحسنة الطباع •• خذها ، وأحسن معاملتها !

ثم قالت للفتاة :

ـ أطيعيه ، وأنجبى له أبناء وأبناء كثيرين ، وأحضرى أول طفل ليرانى •

فقالت الفتاة بكل طاعة .

ــ أجل يا سيدتى الجليلة !

ووقفا متململين ·· كان وانج لانج مرتبكا ، وكان لا يعرف اذا كان عليه أن يتكلم ·

وقالت السيدة العجوز فى غضب :

ــ حسن ، اذهبا ·· هيا ·

فانحنى وانج لانج بسرعة ، واستدار خارجا ، وجاءت الفتاة وراءه ، ومن بعدها الحارس حاملا على كتفه الصندوق الذى ألقى به فى الحجرة ، التى عاد اليها وانج لانج ، فوجد سلته ، ولم يحمل الحارس الصندوق بعد ذلك ، واختفى بدون أية كلمة أخرى ·

عندئذ استدار وانج لانج للفتاة ، ونظر اليهـــا لأول مرة ·· انها ذات وجه مربع صريح ، وأنف قصير عريض ، وفم واسع ، وعينين صغيرتين ؛ ولونهمــا أســود بـاهت يعــوزه البريق ، ومملوءتين بحزن ما لا تعبران عنه بوضوح ، وكان وجهها يبدو صامتا من التعود ، كما لو أنها لا تستطيع الكلام حتى لــو أرادت ذلك ·

تحملت نظرة وانج لانج بصبر ، وانتظرت ببساطة حتى يراها . فرأى أنه لم يكن يوجد أى جمال من أى نوع في وجهها حقـــا .. وجه أســمر عادى صبور ، ولكن لا توجد بثور الجدرى على جـــلدها الأســمر ، ولا شفتها مشقوقة . ورأى فى أذنيها القرطين الذهبيين اللذين اشتراهما لها ، وفى أصابعها الخواتم التى أعطاهم لها ، واستدار فى تحمس كتوم .. حسن ، ان لديه الآن زوجة !!

وقال بخشونة :

ـ ها هنا هذا الصندوق ، وهذه السلة !

فانحنت بدون كلمة ، والتقطت أحـــد طـــرفى الصندوق ، ووضعته على كتفها ، وحاولت النهـوض به وهى تكافح تحت ثقله ، فلاحظها .

وقال فجاة :

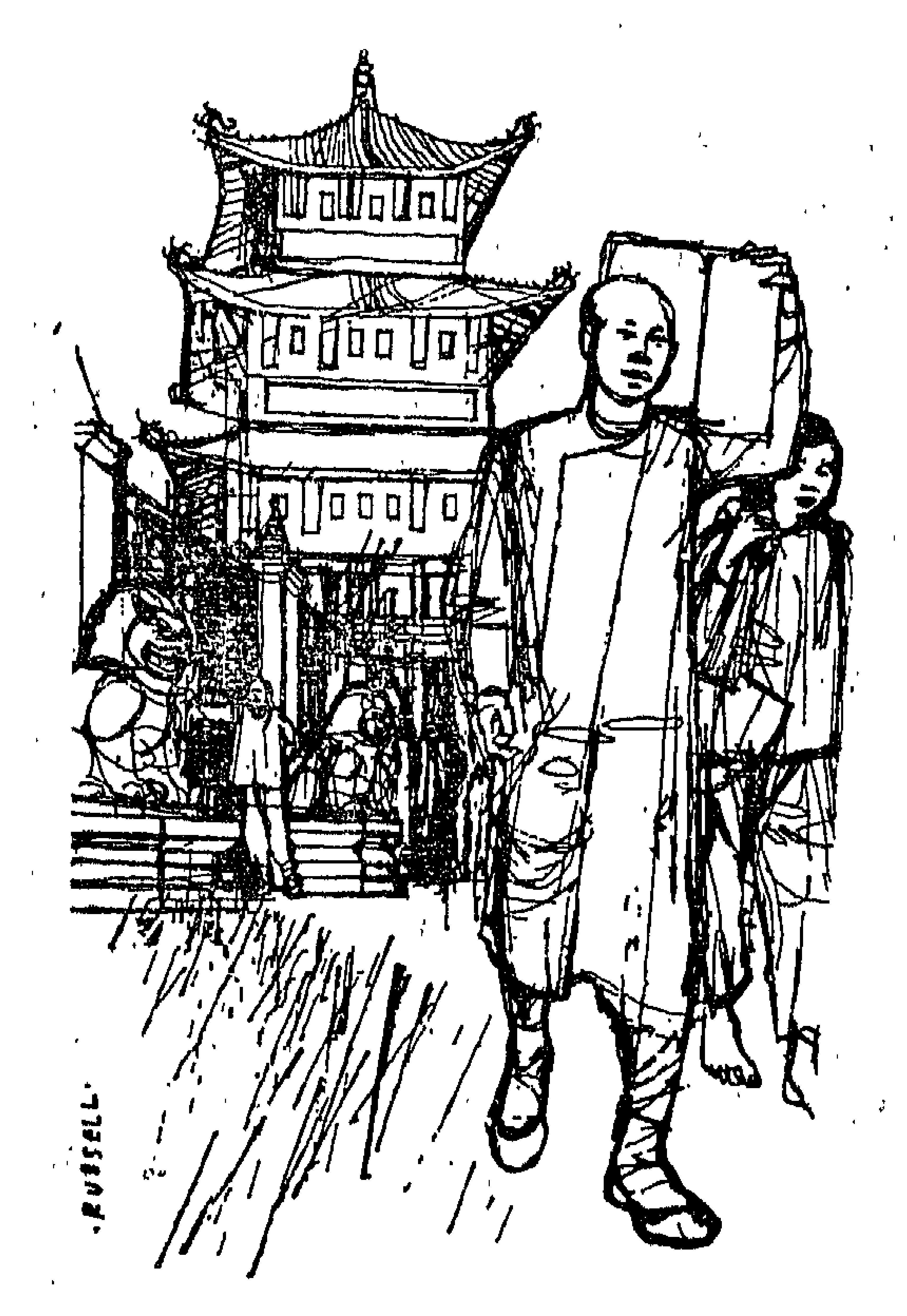
ـ سآخذ الصندوق ، واليك بالسلة .

وأخذ الصندوق على ظهره بغض النظر عن أفضل

رداء يرتديه ، وأخذت هى السلة فى صمت • وذهبا عبر الساحات ، ثم الى الشارع •

ونظر اليها مرة أو مرتين ، وكانت تمشى عـــلى قدميها الكبيرتين بثبات ، وكأنها مشت خلفه طـــوال حياتها ، وكان وجهها العريض بلا تعبير ••• وهـــكذا مشيا سويا حتى وصلا الى الحقـــــل الغربى ، حيث المعبد •

كان المعبد عبارة عن مبنى صغير ، لا يرتفع عن هامة الانسان ، ومبنيا من طوب رمادى • ويقبع داخل المعبد تمثالان صغيران يحميهما سقف آمن ، كانا الاله نفسه ، وزوجته ، وهما مصنوعان من تراب الحقـول المجاورة للمعبد • ويرتديان ملابس من الورق الأحمر ، والذهبى ، وكان على شفة الاله العليا شعر حقيقى ، وكان والد وانج لانج يشترى كل عام صحفا من الورق الأحمر ، ويقطعها بعناية ، ويلصق ملابس جديدة للاله ، وزوجته • وكل عام يسقط المطر ، والجليد داخـــل المعبد ، كمـــا تشرق عليهمـــا شمس الصيف فتتلف ملابسهما •



وانج لانج و او ـ لان يغادران منزل هوانج .

أخذ وانج لانج يبحث عن أعواد البخــــور التى اشـــتراها ، وغرزها فى الرماد المــكوم أمام الاله ، وزوجته • ووقف هذا الرجل وهذه الفتاة أمام آلهــة الحقول ، وراقبت الفتاة أطراف البخور الحمراء التى تتحول الى لون رمادى ، عندما ثقل الرماد انحنت عليهما. ودفعت بالرماد بعيدا ، ثم نظرت بسرعة الى وانج لانج ، وكأنها خائفة مما فعلته • ولكن هناك شيئا ما أحبه فى حركتها ، اذ كأنها شعرت بأن البخور يخصهما هما سويا •• انها كانت لحظة زواج ، فوقفا هنا جنبا لجنب فى سكون تام أثناء احتراق البخور الى رماد •

ثم رفع وانج لانج الصندوق ، لأن الشمس كانت تغوص فى الأفق ، واتجها الى البيت •

وقف الرجل العجوز عند باب المنزل ، يقتنص آخر أشعة للشمس على جسمه ، وعندما رأى وانج لانج يأخذ السلة من الفتاة صرخ قائلا :

ــ هل أنفقت نقودا ؟

وضع وانج لانج السلة على المائدة .

وقال باقتضاب :

ـ سيوجد ضيوف الليلة !

ـ لا توجد نهاية لانفاق النقود فى هذا المنزل !

كان فى قرارة نفسه مسرورا بأن ابنه قد دعا ضيوفا ، لكنه كان يشعر بأنه ليس من الصواب أن يتفوه بغير الشكوى أمام زوجة ابنه ، وألا يبدأ من الأول فى طريق مكلف ، ولم يقل وانج لانج شيئا ، لكنه أخذ السلة الى المطبخ ، وتبعته الفتاة الى هناك .

فقال لها :

ـ هنا لحم ، وهنا لحم أكثر ، وسمكة .. هل يمكنك تحضير الطعام ؟

فاجابت الفتاة بصوتها الجلى :

ـ لقد كنت خادمة مطبخ منذ أن ذهبت الى منزل هوانج ، وكان اللحم موجودا فى كل وجبة .

تركها وانج لانج ، ولم يرها ثانية ، حتى وصل الضيوف متزاحمين - عمه كان مبتهجا ، ولكنه كان جائعا ، ومخادعا ، وابن عمه شاب صغير في الخامسة عشرة ، يحب أن يلفت نظر الآخرين اليه ، ومزارعين مرتبكين خجولين . كان أحدهم شينج جاره ، وهو رجل صغير الحجم ، هادىء دائما ، لا يرغب في الكلام الا اذا أجبر عليه .

وأخذ يحثهم بحماس على الأكل ، وأكلوا اذ كان الطعام طيبا ، ومدح أحدهم الصلصة البنية التي وضعت على السمك ، وآخر أثنى على اللحم المطهو ببراعة ..

واخذ وانج لانج يقول ، ويعيد القول :

- انه طعام فقير .. انه معد بشكل مخز !

ولكنه كان في قرارة نفسه فخورا بالأطباق لأن الزوجة أعدت توليفة من السكر ، والملح ، وقليل من النبيذ وصلصة الفول الصويا بمهارة أكسبت الطعام مذاقا رائعا ، ولم يتذوق وانج لانج مثل هذه الاطباق على موائد اصدقائه من قبل .

وفى تلك الليلة ، بعد ما جلس الضيوف طويلا يتناولون أقداح الشاى ، وبعد ما انتهوا من نكاتهم ، أخذ أو ـ لان من يدها وقادها الى الحجرة التى استحم فيها من أجلها ذلك الصباح ، وارتبك فجأة عندمـــا وجد نفسه مع الفتاة .

فقال بخشونة :

ـ عندما ترقدين ، أطفئى الضوء أولا !

وبعد فترة ، عندما أظلمت الحجرة وأحس بحركة الفتاة بجانبه ملأه الفرح ، واطلق ضحكة عميقة فى الظلام !

الفصل الثانى

وفى الصباح التالى تمدد على الفراش ، وأخـذ يراقب الفتاة التى أصبحت الآن ملكا له كلية ، وانعكس الضوء الصادر من الفتحة الصغيرة ــ على شكل شعاع ــ عليها ، فرأى وجهها كما هو ، لم يتغير ٠٠ كان ذلك مدهشا بالنسبة الى وانج لانج ، واعتقد أن الليـــل يجب أن يكون قد غيره ٠ ومع ذلك هاهى تنهض من فراشه ، وكأنها كانت تنهض من هذا الفراش طـوال حياتها !

وارتفعت سعلة الرجل العجوز تشكو من الظــلام وتبدأ النهار ،

فقال لها :

ـ خذى أولا طاسة من الماء الساخن لأبى من أجل رئتيه !

فسألته بصوتها الهادىء :

ـ هل أضع فيه أوراق الشاى ؟

لقد انزعج وانج لانج من هذا السؤال البسيط .

وكان يحب أن يقول :

ـ طبيعى ، يجب أن يكون فيه أوراق الشاى ..
هل تعتقدين أننا شحاذين ؟ كان يجب ان تفهم أنهم يعتبرون اوراق الشاى فى المنزل لا شىء ، ففى منزل هوانج كانت ، بالطبع ، كل طاسة ماء خضراء بأوراق الشاى . وحتى العبيد هناك ربما لا يشربون ماء قراحا فقط . لكنه كان يعرف أن أباه سيغضب اذا قدمت اليه الزوجة الشاى فى أول يوم بدلا من الماء ، علاوة على أنهم ليسوا أغنياء حقا .

لذلك أجاب بلا مبالاة :

ـ شاى ؟ كلا ، كلا ·· انه يجعل سـلعته اسوأ !

ورقد عندئذ في فراشه دافئا راضيا ، بينما الزوجه في المطبخ توقد النار ، وتغلى الماء وأخذ يفكر في الليله ، وتساءل فجأة إذا كانت قد احبته ·· كان هذا تساؤلا جديدا ··كان يسأل فقط اذا كان سيحبها ، وهل سترضيه في فراشه ، وفى هذا المنزل أم لا · وبالرغم من أن وجهها عادى ، والجلد الذى يكسو يديها كان خشنا ، الا أن جسدها جميل ·· فهى طويلة ، كبيرة العظام ، مع استدارة ، ونعومة ، ورغب فجأة في أن تحبه كزوجها ، وعندئذ شعر بالخجل ·

وانفتح الباب ، ودخلت بطريقتها الصامتة ، حاملة في كلتا يديها طاسة يتصاعد منها بخار الماء ، فجلس على فراشه وتناولها ·· كانت أوراق الشاى تطفو على سطح الماء ، فرفع بصره اليها بسرعة ، فانفزعت فى الحال ،

وقالت :

ــ لم آخذ اى شاى للرجل الكبير ــ لقد فعلت كما قلت لى ــ ولكن من أجلك أنت ، فأنا ..

رأى وانج لانج أنها كانت خائفة منه ، فأحس بالغبطة .

وأجابها قبل أن تنهى كلامها :

ــ انني أحبه .. انني أحبه !

وأخذ يمص الشاى فى فمه بأصوات عالية من النشوة ، وكان فى داخله فرح جديد ، يخجل أن يعترف به ، حتى لنفسه :

ــ ان هذه المرأة ملكى ، وتحبنى بما فيه الكفاية !

وخيل اليه أنه لن يفعل شيئا خلال الشهور التالية عدا أن يراقب امرأته هذه .

وفى الحقيقة اشتغل كما كان يشتغل دائما . فكان يمشى الى حقوله ، ويحرث صفوف البذور ، ويثبت الثور فى المحراث ، ويحرث الحقل الغربى ، حيث يزرع الثوم والبصل .

ولكن العمل كان مبهجا ، لأنه يستطيع عند الظهيرة أن يذهب الى منزله ، ويجد الطعام معدا له ليأكله والمائدة تلمع ، والطاسات موضوعة بترتيب عليها ومن قبل كان عليه أن يجهز الوجبات عند عودته رغم تعبه ، الا اذا أحس الرجل العجوز بالجوع ، وقام بتحريك قليل من طحين الذرة في الماء ، أو خبز رغيفا من الخبز ولفه حول فص ثوم ٠

وحاليا أى شيء موجود للأكل فهو معـــــد له ، ويستطيع أن يجلس الى المائدة ويأكل فى الحـــال ، والأرضية الترابية مكنوسة ، والحطب مكوم ٠٠ وعندما يذهب فى الصباح تأخذ المرأة الجرافة الخشـــبية ، وقطعة حبل وتتجول بهما فى المنطقة تجمع الحشائش من هنا ومن هناك ، وفروعا وأوراق شجر ، وتعود قبل الظهر لتبدأ فى طهى الغداء ٠٠ وكان يسره ذلك ، لأنهم لا يحتاجون لشراء حطب ٠

وبعد الظهر تأخذ جاروفا ، وسلة على كتفهـــا ، وتذهب الى الطريق الرئيسى المؤدى الى المدينة ، حيث

تحمل الجياد والحمير أثقالها ، فتلتقط روث الحيوانات من الطريق ، وتحمله الى البيت ، وتكومه فى الفناء لاستخدامه فى الحقول • كانت تقوم بهذه الامور بدون كلمة ، وبدون أن تؤتمر لفعلها • وعندما يشرف النهار على نهايته ، فلا تستريح حتى تطعم الثور بالمطبخ وتسقيه حسب ما يحتاج من الماء •

ثم تأخذ ملابسهم الممزقة ، وتقوم برتقها بخيط تغزله بنفسها من نتفة قطن على عصاة وتغطى التمزقات الموجودة فى ملابسهم الشتوية ، وتأخذ فرشهم وتعرضه للشمس ، وتغسله وتعلقه ليجف ، وتنقب فى الحشوة القطنية التى أصبحت جامدة ومتسخة على مر السنين ، وتقتل الحشرات التى عاشت فى الثنايا المخفية ، وتجففها جميعها فى الشمس •

ويوما وراء يوم ، وهى تقوم بعمل شىء بعد شىء حتى بدت الحجرات الثلاث نظيفة ، ومريحة ، وتحسنت سعلة الرجل العجوز ، ودائما ما كان يجلس فى الشمس بجوار الجدار الجنوبى للمنزل وهو نصف نائم ، ويتمتع بالدفء والرضا •

ولكنها لم تتكلم مطلقا ، فيما عدا بعض كلمات لازمة لضروريات الحياة • كان وانج لانج يراقب حركتها المتئدة ، البطيئة حول الحجرات على قدميها الكبيرتين ، ويلاحظ سرا وجهها المربع غير المعبر ، ونظرة عينيها نصف الخائفة ، ولم يستطع أن يفهمها • لقد خبر في الليل الرسوخ الناعم لجسدها ، ولكن فى النهار ، كانت الملابس القطنية الزرقاء البسيطة تغطى كل ما خبره ، وكانت هى مثل الخادمة المخلصة الصامتة ، خادمة لا أكثر •

وأحيانا يبدأ في التساؤل ، وهو يعمل فوق التربة وفى الحقول • ماذا شاهدت فى مئات الساحات الموجودة بمنزل هوانج ؟ وكيف كانت حياتها ، هذه الحياة التى لم يشاركها فيها ؟ لم يستطع أن يدرك ذلك ، ثم يخجل من فضوله ، واهتمامه بها •• انها على كل مجرد امرأة !

لكن لم تكن الحجرات الثلاث مع وجبتى النهار كائنة لتشغل امرأة ، كانت عبدة فى منزل كبير ،

كانت تعمل فيه من شروق الشمس حتى منتصف الليل وفى أحد الايام عندما كان وانج لانج مشغولا بالقمح وحرثه يوما بعد يوم ، حتى آلمه ظهره ، سقط ظلها عبر الصف المحنى عليه ، حيث وقفت وعزاقتها معها من فوق كتفها ،

وقالت باقتضاب :

– ليس هناك ما يمكننى أن اعمله فى المنزل قبل حلول الليل ·

وبدون كلام آخر ، أخذت الصف الذى على يساره وبدأت تعمل بثبات ·

وسطعت الشمس من فوقهم ·· كان الوقت أوائل الصيف ، فتغطى وجهها بالعرق فى الحال · كان وانج لانج خالعا رداءه ، وظهره عاريا ، ولكنها كانت تعمل ورداءها الرقيق يغطى كتفيها ، فابتل والتصق بها كجلد ثان · وشعر باتحاد معها ، وهو يعمل وهى بجانبه ساعة وراء ساعة فأزال ذلك آلمه ·



وانج لانج و او ــ لان يعملان فى الأرض ٠٠ ٠

لم يكن لديه فكر واضح عن أى شيء ·· كانت لديه متعة عميقة فقط بسبب المشاركة في العمل ، وهما يقلبان هذه الأرض التى تخصهما المرة تلو الاخرى حتى تتعرض للشمس ــ هذه الارض التى منها بيتهما ، ومنها يتغذى جسداهما ، ومنها تصنع آلهتهما · وتمتد الارض سمراء غنية ، وتتساقط من بين أيديهما وهما يعملان ، وأحيانا كانا يرفعان قالب طوب ، او قطعة خشب صغيرة · انها لا شيء ·· ففي بعض الازمان دفنت أجساد رجال ، ونساء ·· وهناك بيوت بنيت ·· وأخرى سقطت ·· وعادت الى الأرض ثانية ·· وهكذا يعود بيتهما الى الأرض فى وقت ما · كانا يعملان سويا فى صمت ·· وسويا يخرجان من ثمرات هذه الأرض ··

وعندما تغيب الشمس ، يفرد ظهره ببطء ، وينظر الى المرأة ، فيرى وجهها متسخا بالارض ·· سمراء سمرة الارض نفسها ، وتلتصق ملابسها الداكنة المبتلة بجسدها المربع وهى تمهد الصف الأخير بتؤدة ، وتقول بطريقتها الصريحة العادية ،

وبصوتها المنخفض ، والأكثر تبلدا عن المعتاد فى هواء الليل الساكن :

ـ سأنجب طفلا ٠

وقف وانبج لانج ساكنا ٠٠ ماذا يقول فى ذلك وكأنها قالت « لقد أحضرت لك الشاى » أو كأنها قالت « يمكن ان تأكل » ٠ يبدو الموضوع فى هذه البساطة٠!

وانحنت لتلتقط قطعة حجر مكسور ، وتلقبهـا بعيدا عن الصف ٠٠ ولكن عنده هو ـ فلا يستطيع أن يفصح عن وقعه لديه ! ٠٠ وهكذا كان دورهما الآن فى انشاء أسرة على هذه الأرض ! ٠٠

أخذ العزاقة من يدها ٠ **وقال وصوته غليظ فى حلقه :**

ـ يكفى هذا الآن ٠٠ انه نهاية النهار ، سنخبر الرجل الكبير !

ثم سارا الى البيت ، وهى خلفه بعدة خطوات ٠٠ كان هذا هو حقها الشرعى ٠ وكان الرجل العجوز يقف

عند الباب جائعا منتظرا وجبته المسائية التى لا يعدها لنفسه مطلقا ، طالما هناك امرأة بالمنزل ،

وصاح قائلا :

ـ اننى عجوز على الانتظار على طعامى هكذا !

ولكن وانج لانج قال وهو يجتازه متجها للغرفة :

ـ ستنجب طفلا !

حاول أن يقولها بسهولة كما يقول « لقد بذرت الحب فى الحقل الغربى اليوم » . ولكنه لم يستطع . فبالرغم من أنه تكلم بصوت منخفض فكان وكأنه صرخ بالكلمات .

فضحك العجوز قائلا :

ـ هيه .. هيه .. هيه ! وهكذا يأتى المحصول فى الطريق !

ولم يستطع أن يرى وجهها فى الظلام ،

ولكنها أجابت :

ـ سأجهز الطعام الآن .

فقال الرجل العجوز بشغف

وهو يتبعها الى المطبخ كالطفل :

ـ أجل ٠٠ أجل ٠٠ الطعام !

ولكن وانج لانج جلس بجوار المائدة فى الظلام، ووضع رأسه على ذراعيه المطويتين ، وهكذا تخرج من هذا الجسد ـ جسده ـ حياة !!

وعندما اقتربت ساعة الولادة قال للمرأة :

ـ لابد أن نأتى بأحـــد ليساعدك فى الوقت الراهن ٠٠ أية امرأة ٠٠ الا توجد واحدة فى المنزل الكبير من العبيد صديقاتك السابقات تســـتطيع أن تأتى ؟

كانت هذه هى المرة الأولى التى ذكر فيها المنزل الذى أتت منه ـ فاستدارت نحوه كما لم يرها مطلقا ، واتسعت عيناها الضيقتان ، وتحرك وجهها بغضـــب غبى .

وصرخت فيه :

ـ ولا واحدة فى ذلك المنزل !

فأسقط الغليون الذى كان يملأه ، وحملق فيها، ولكن فجأة كان وجهها كعادته ، وكأنها لم تتكلم ،

فقال فى دهشة :

ـ حسن ، هذا شىء غريب !

ونظر اليها ، فقالت بعد لحظة :

ـ عندما أعود الى ذلك المنزل سيكون ابنى بين ذراعى ، سيكون فى رداء أحمر ، وملابس ذات زهور حمراء ، وستكون على رأسه قبعة بها اله ذهبى صغير مثبت بالخيط فى مقدمتها ، وفى قدميه حذاء عليـــه رؤوس حيوانات • وسأرتدى حذاء جـــديدا ، ورداء جديدا من القطن الأسود ، وسأذهب الى المطبخ حيــث قضيت أيامى ، وسأذهب الى القاعة الكبرى ، حيــث تجلس السيدة الكبيرة مع أفيونهـــا وسأعرض نفسى وابنى عليهم كلهم •

لم يسمع منها مطلقا مثل هذا العدد من الكلمات من قبل .. ورغم أنها قالتها ببطء لكن في ثبات وبدون توقف ، وأدرك أنها قد خططت كل هذا لنفسها . اذن كانت تخطط كل هذا وهي تعمل بجانبه في الحقول ، يا لها من مدهشة ! وكان يظن أنها ما فكرت في طفلها الا نادرا ، لأنها كانت تعمل في هدوء يوما بعد يوم ، ولكنها كانت ترى الطفل يولد ، ويرتدى كامل ملابسه ، وكذلك هي كامه في رداء جديد ! وأصبح أخرس لفترة بلا كلام ، فأخذ يضغط على التبغ باهتمام ، ويكوره بين اصابع يده ، والتقط غليونه وحشى التبغ فيه .

وقال اخيرا :

ـ أعتقد أنك تحتاجين بعض النقود

فقالت بخوف :

ـ اذا أعطيتني ثلاث قطع فضية ... انها كثير .. أعرف ، ولكني حسبت بدقة ، ولن أضيع أي بنس منها سدى !

كان قد باع في اليوم السابق بعض المحصول بسوق البلدة ، وكان في حزامه أكثر مما تحتاجه بقليل ، فوضع القطع الفضية الثلاث على المائدة ، ثم أضاف بعد قليل من التردد قطعة رابعة ، كان قد احتفظ بها معه طويلا ، في حالة لو أراد أن يلعب لعبة حظ أحد الأيام في صالة الشاى ، لكنه كان دائما يخاف أن يخسر ، لذلك كان عادة ما يصل الى خيمة راوى القصص حيث يستمع لقصة قديمة ، ولا يدفع أكثر من بنس في طاسة يمر بها عليه •

وقال :

ـ من الأفضل ان تأخذى قطعة أخرى • فيمكنك أى تعملى رداءه من قطعة حرير صغيرة ، على كل انه الابن البكر !

لم تأخذ النقود في الحال ، بل وقفت تنظر اليها جامدة الوجه •

ثم قالت في همس :

ـ انها أول مرة أضع نقودا من الفضة في يدى •

وفجأة أخذتها ، وأقفلت عليها يدها . وأسرعت الى حجرة النوم ٠

جلس وانج لانج يدخن ، ويفكر فى الفضة وهى فوق المائدة ٠ لقـد خرجت هذه الفضـــة من الأرض التى يحرثها ، ويعزقها ، ويشتغل عليها ٠ لقد استولت هذه الأرض على حياته وحصل منها بعرقه على الطعام ، ومن الطعام فضة ٠ وفى كل مرة يخرج فيها الفضة ليعطيها لأى أحد ، فكان وكأنه يأخذ قطعة من حياته ويعطيها لشخص لا يبالى ٠ ولكنه الآن ، ولأول مرة لم يشعر أن هذا العطاء كان مؤلما ، لأنه لم ير الفضة فى يد تاجر بالبلدة ، بل رأى الفضة تتحول الى شىء ذى قيمة أكثر منها ٠٠ ملابس على جسد ابنه ! وهذه المرأة المدهشة ، زوجته التى تعمل ، ولا تقول شيئا ، وتبدو كأنها لا ترى شيئا ٠٠ قد رأت أول ما رأت الطفل وهو يرتدى ملابس جديدة هكذا ! ٠٠

رفضت أن يكون معهـا أى أحـد عندما جاءت ساعتها ٠ جاءت مبكرا فى احدى الأمسيات [illegible] الشمس تغرب ، وكانت تعمل [illegible] المحصول

.. كانت تقطع ببطء أكثر وأكثر ، فاستدار لينظر اليها في غضب ، فتوقفت وانتصبت آنئذ ، وبدا على وجهها عرق جديد ، عرق ألم جديد .

فقالت :

ـ لقد أتيت .. سأذهب الى المنزل ، لا تدخل الحجرة حتى أنادى .

وعندما وصل المنزل وجد عشاءه ساخنا على المائدة ، والعجوز يأكل . لقد وقفت لتعد الطعام لهما ! فقال لنفسه ان مثل هذه المرأة ليست شائعة الوجود ، ثم ذهب الى باب حجرتها ، فسمعها تتنفس على نحو ثقيل ، كما يتنفس حيوان ركض مسافة طويلة ، ورفع العجوز بصره من طاسته ليقول :

ـ كل ، والا سيبرد كل شيء !

ثم أردف قائلا :

ـ لا تزعج نفسك ، ما زال الوقت طويلا بعد .

لكن وانج لانج ظل يستمع عند الباب لتنفسها الثقيل الذى أصبح سريعا وعاليا ، لكنها لم تصدر أى صوت آخر ٠٠ وعندما أصبح غير قادر على التحمل أكثر، وعلى وشك أن يقتحم الحجرة ، صدرت صرخة رفيعة حادة فنسى كل شىء ٠

وصاح ناسيا المرأة :

ـ انه رجل ؟ !

وانطلقت صرخة رفيعة ثانية ، فصاح ثانية :

ـ اخبرينى على الأقل بذلك ـ هل هو رجل ؟

فأجاب صوت المرأة بضعف :

ـ رجـــل !

ذهب عندئذ وجلس الى المائدة ٠ كان الطعام باردا، والرجـل العجوز نائما على مقعده ، فهز كتف أبيـه العجـــوز ٠

وقال بافتخار :

ـ انه طفل رجل ٠ أنت جد ، وأنا أب !

استيقظ الرجل العجوز فجأة ، وبدأ يضحك .

ـ أجل ·· أجل ·· طبعا ·· جد ·· جد !

ونهض ، وذهب الى فراشه وهو لا يزال يضحك ·

شعر وانج لانج بالجوع مرة واحدة ، فرفع طاسة الأرز البارد ، وبدأ يأكل ، ويأكل ··وعندما أكل كل ما يرغب ذهب نحو الباب ثانية ، فنادت عليه ليدخل ، فدخل · كانت راقدة على الفراش ومغطاة بشكل مرتب ، وبجانبها يرقد ابنه ملفوفا فى ملابسه هو القديمة ·وتقدم ولم يجد للحظة كلمات فى فمه ، فانحنى على الطفل ينظر اليه · كان له وجه مستدير ، ويبدو أسمر جدا ، وعلى رأسه شعر طويل رطب وأسود ، ولم يتوقف عن الصراخ وهو راقد بعينيه المغلقتين باحكام ·

ونظر الى زوجته ، ونظرت اليه ·· كان شعرها لا يزال مبتلا بالعرق ، وعيناها الضيقتان غبيتين ، أما خلاف ذلك فكانت كما هى عليه دائما ·· لكنها

حركت مشاعره ، وهي راقدة هناك ، فاندفع قلبه نحو هذين الاثنين .

وقال وهو لا يعرف أى شىء آخر يمكن ان يقال :

ـ سأذهب الى المدينة غدا لأشــترى رطـلا من لسكر الأحمر ، وأحركه في ماء مغلى لتشربيه .

ثم نظر للطفل ثانية .. هـذا الذى خــرج من صلبه .. أخذ يفكر فى ذلك :

ـ يجب علينا أن نشترى سلة مملوءة بالبيض ونلونه باللون الأحمر ، عندئذ سيعرف كل الناس ، أن عندى ولد !!

الفصل الثالث

وعادت المرأة ثانية الى الحقول بجانبه ، قبل أن يدرك أحد أى شيء · كان المحصول قد تم جمعه ، وأخذ يضرب هو وهى الغلال على أرضية جامدة من الفناء الخارجى القريب من باب المنزل · وبعدما يتم ضرب الغلة يخزنونها ، فكانا ينشرانها الى أعلى نحو الريح من على سلال مسطحة كبيرة ، ثم يلتقطان الغلال الجيدة وهى تسقط ، بينما تتطاير النفايات بعيدا فى سحابة مع الريح · ثم هناك الحقول التى تبذر بغلة الشتاء ثانية ، وعندما أخرج الثور ، وحرث الأرض كانت المرأة تتبعه من خلفه ، ومعها عزاقتها التى تكسر

بها العيدان في صفوف متراصة . وكانت حاليا تشتغل طوال اليوم بينما يرقد الطفل على الأرض نائما فوق غطاء سرير قديم ممزق ، وعندما يبكي تتوقف المرأة ، وتجلس على الأرض ، وترضـــعه . وكانت الشمس تضربهما سويا .. شمس آخر الخريف التى لا تدع دفء الصيف يفلت منهـا حتى يجبرها برد الشـتاء القادم على ذلك . وكانت المـرأة والطفـل سمراوين كالتربة ، وكانا يجلسان هناك كتمثالين مصنوعين من طين الأرض ، وغبار الحقول فوق شعر المرأة ، وفوق رأس الطفل الأسود الناعم .

جاء الشـتاء وكانوا مسـتعدين له ، ولديهـم محصـول لم يحصـلوا على مثـله من قبـل ، وكادت الحجرات الثلاث الصغيرة تنفجر ، فمن أعمدة السقف تتدلى جدائل وجدائل من البصـل والثـوم الجاف ، وحول الحجرة الوسطى ، وفي حجرة الرجل العجوز ، وفي حجرتهما حصير ملفوف في أشكال سلال كبيرة ، مملوءة تماما بالقمح والأرز . وسيباع الكثير منها .. لكن كان وانج لانج حريصا ولم يفعـل ، مثل كثير

من القرويين الذين يصرفون نقودهم بحرية على العاب الحظ أو أطعمة مرهفة أكثر من اللازم ، لذلك لم يكن مضطرا لبيع الغلة مثلهم فى وقت المحصول حيث السعر منخفض ٠

كان عمه مضطرا لبيع غلته حتى قبل أن تنضج جيدا ، وكانت زوجة عمه امرأة حمقاء ، بدينة وكسولة، ودائما تطلب حلويات وأطعمة من هذا النوع ومن ذاك، وتشترى أحذية جديدة من البلدة ٠ أما زوجة وانج لانج فتصنع جميع أنواع الأحذية له نفسه وللرجل العجوز ولقدميها وللطفل ، ولم يكن يدرى ماذا يفعل اذا رغبت فى شراء حذاء !

ولا يوجد أى شىء معلق فى أعمدة السقف بمنزل عمه القديم ٠ أما فى منزله فكان معلقا فخذ من اللحم المملح ، كان قد اشتراه من جاره شينج ٠ كان الفخذ ضخما ، ولقد ملحته أو ــ لان باتقان ، وعلقته ليجف ، كذلك فقد ذبحوا دجاجتين من دجاجهم وجففتهما بريشهما ، وملأتهما بالملح !

كانوا وهم يجلسون في المنزل محاطين بهذا الثراء ، وريح الشتاء تأتى من الصحراء الشمالية الشرقية ، وسقطت الأوراق من الشجرة المجاورة للباب وأشجار الحقول كذلك ، ثم جاءت الأمطار فجأة في يوم ذى غيوم كثيرة ، وعندما ماتت الريح فى الأنواء البعيدة ، وكان الهواء هادئا ودفئا ، ويجلس جميعهم يلفهم الرضا ويرقبون المطر المتساقط فى استقامة غائصا فى الحقول المحيطة بالفناء ويتساقط من طرف السطح فوق الباب ، وكان الطفل مندهشا مادا يده ليمسك بخطوط المطر الفضية وهى تتساقط ، وأخذ يضحك وضحكوا معه ، وجلس الرجل العجوز على الأرض بجانب الطفل .

وقال :

لا يوجد لطفلنا مثيل فى القرى ، فأطفال أخى لا يلاحظون شيئا قبل أن يستطيعوا المشى وحدهم !

وفي الحقول تنمو بذور القمح ، وتدفع بنبتتها الخضراء الرقيقة أعلى الأرض السمراء المبتلة ، وبقى

وانج لانج في المنزل ، بينما المرأة ترفى الملابس وتقوم بأعمال الخياطة ، يأخذ هو جرافاته الخشبية ويتفحصها، ويضع قطعة خشب جديدة في الجزء المكسور منها .

وما كان يعمله لأدوات الزراعة ، تعمله زوجته أو ـ لان لما يخص شئون المنزل . فاذا كان هناك أصيص يتسرب منه الماء ، فهي لا ترميه جانبا ، أو تطلب آخر جديدا مثل النساء الأخريات ، وبدلا من ذلك كانت تخلط التراب بالطين وتسد الشق وتسخنه ببطء فيصبح كالجديد .

وهكذا كانوا يجلسون في بيتهم مستمتعين برضاء كل واحد منهم ، رغم أن كلامهم لم يكن أكثر من كلمات مبعثرة مثل :

« هل حفظت الحبوب للبذرة الجديدة ؟ » أو «سنبيع قش القمح ونشعل أوراق الفول في المطبخ» .

وحصل وانج لانج من محصول هذا العام على حفنة من الفضة تزيد عما يحتاجونه ، فحفرت المرأة

بمهارة فتحة صغيرة فى الجدار الداخلى لحجرتهما خلف الفراش ، وأدخل وانج لانج الفضة فيها ، وبقالب من طوب غطت الفتحة ، فبدت وكأنه لا يوجد شىء هناك ، وأدرك وانج لانج ان لديه نقودا أكثر مما يحتاج لانفاقه، وأخذ يسير بين أقرانه وهو مرتاح مع نفسه ، ومع الجميع .

اقتربت السنة الجديدة ، وكانت الاستعدادات موجودة فى كل منزل . وذهب وانج لانج الى البلدة واشترى مربعات من الورق الأحمر ، مرسوم على بعض منه بالذهب علامة للسعادة ، وعلى البعض الآخر علامة للغنى ، وقام بلصق هذه المربعات على أدوات الزراعة لتجلب له الحظ فى العام الجديد ، فلصق مربعا على محراثه ، وعلى الجردلين ، ثم لصق على أبواب منزله شرائط طويلة من الورق الأحمر المرسوم بالحروف لحسن الطالع ، ولصق فوق مدخل الباب ورقا أحمر مقطعا بمهارة الى نماذج زهرة مكررة ، كما اشترى ورقا أحمر ليعمل ملابس جديدة للآلهة ، وهذا ما قام بعمله الرجل العجوز بمهارة برغم يديه المرتعشتين ، وأخذها

وانج لانج وألبسها لالهى الأرض الصغيرين فى المعبد ، وأشعل بخورا أمامهما من أجل السنة الجديدة !

وذهب وانج‌لانج ثانية الى البلدة ، واشترى سمنا وسكرا أبيض ، وأخذت المرأة طحين الأرز الذى طحنوه من أرزهم بين حجرى الرحى الحجرية التى يمكن أن يديرها ثورهم اذا احتاجوا ، وأخذت السمن والسكر وعملت كعكا رائعا للعام الجديد يسمى كعك القمر تماما كالذى يؤكل فى منزل هوانج ٠

وفى اليـوم التالى للسنة الجـديدة نهضوا عند شروق الشمس وألبست المرأة الطفـل رداءه الأحمـر وحذاءه على شكل وجـوه حيـوانات والذى قامت هى بعمله ، ووضـعت فوق رأسـه التى حلقها له حديثا وانج‌لانج بنفسه فى آخر أيام السنة القديمة ، قبعـة حمراء عليهـا اله ذهبى مثبت بالخيط على مقـدمتها وأرقدته عـلى السرير ، ثم ارتدى وانج‌لانج ملابسـه بسرعة ، بينما أخذت زوجته تمشط شعرها الطويل وضفرته ، وارتدت رداءها القطنى الأسود الجديد ، ثم

حمل هو الطفل ، وحملت هي بعض كعك القمر ، وسارا على الطريق الضيق عبر الحقول ٠

وعند بوابة منزل هوانج الكبيرة ، حصل وانجلانج على مكافأته ، عندما صرخ حارس البوابة :

ـ آه ، وانج الفلاح ٠٠ ثلاثة هذه المرة بدلا من واحد !

ثم شاهد الملابس الجديدة التى يرتدونها جميعهم ، والطفل الذي كان ذكرا ٠

فاردف قائلا :

ـ لا داعي أن نتمنى لك هذه السنة حظا أكثر مما حصلت عليه فى السنة الماضية !

اجاب وانجلانج بلا مبالاه ، مثل ما يتكلم الشخص مع ند له :

ـ لقد فزت بمحاصيل جيدة ٠٠ محاصيل جيدة !

فأبدى حارس البوابة الاحترام بعدما شاهده ٠

وقال لوانج لانج :

ـ اجلس فى حجرتى البائســة ، لأبلغ بقدوم امرأتك وابنك ·

دخل وانج لانج منزل حارس البوابة وقبل طاسة الشاى بطبيعة الحال التى أحضرتها زوجة حارس البوابة ذات الوجه المبثور بالجدرى ، ولكنه لم يشربه وكانه ليس طيبا بما فيه الكفاية ليناسبه من ناحية نوعية أوراق الشاى ·

بدا وكانه مر وقت طويل قبل أن يعود حارس البوابة ، ومعه ثانية المرأة وطفلها ، وكان عليها نظرة رضا عميقة · وبانحناءات قصيرة لحارس البوابة وزوجته ذات بثرات الجدرى حث أو ـ لان بالاسراع ، وأخذ الطفل الذى كان نائما بين ذراعيه ، وقال من فوق كتفه ناحية الخلف وهى تتبعه :

ـ حسن ؟

وللحظة أحس بنفـاد الصبر لبطئها ، فاقتربت منه قليلا ·

وقالت فى همس :

ـ أعتقد ان لديهم عجزا هذه السنة فى هذا المنزل !

كانت تتكلم بصوت مفجوع ، كما يتكلم شخص عن آلهة فى حالة جوع ٠

فحثها وانج لانج مستفسرا :

ـ ماذا تقصدين ؟

لكنها لم تتعجل ، فالكلمات بالنسبة لها أشياء تقتضى أن تنطق واحدة واحدة ٠

وتكلمت بصعوبة :

ـ السيدة الجليلة ٠٠ ترتدى هذا العام نفس رداء العام الماضى ! لم أر هذا يحدث من قبل ، والعبيد ليس لديهم ملابس جديدة ٠

ثم اردفت بعد فترة :

ـ أما بخصوص ابننا ، فلا يوجد طفل حتى بين

عبيد السـيد الكبير نفســه ليقارن به فى الجمـال والملبس .

انتشرت ابتسامة بطيئة فوق وجهها ، وضحك وانج لانج مقهقها ، وأمسك بالطفل بحنان فى صدره .

ـ هل عرفت ما سبب عجزهم المالى ؟

ـ تكلمت مع الطباخة التى كنت أعمل معها من قبل ولكنها قالت « لا يمكن أن يظل هذا المنزل للأبد مع كل هؤلاء السادة الصغار ، خمسة منهم ينفقون المال مثل الماء فى أماكن بعيدة ، ويرسـلون للبيت امـرأة تلو الأخرى لأنهم متبرمين منهن ، كما يضيف السيد الكبير عبدا أو اثنين كل سنة . والسيدة الكبيرة تدخن أفيونا كل يوم يكفى لملء حذاءين كبيرين بالذهب ، والابنـة الثالثة سـتتزوج فى الربيع وسيكلف ذلك الكثير » .

ثم أردفت بعد فترة صمت طويل :

ـ يبدو أنهم سيزدادوا فقرا لأن السيدة الكبيرة اخبرتنى بنفسها أنهم يرغبون فى بيع بعض الأرض ..

الأرض التى تقع جنوب المنزل داخل حائط المدينة مباشرة ، حيث كانوا يزرعون دائما الأرز كل عام لأنها أرض جيدة ، وسهلة الرى من مجرى الماء المجاور للحائط .

فقال وانج لانج مكررا :

ـ يبيعون أرضهم ؟ اذن هم فى الحقيقة يزدادون فقرا ، فالأرض جسم الانسان ودمه .

وفكر لفترة ، ثم جاءته فكرة فجائية .

فصرخ وهو يلتفت للمرأة :

ـ لماذا لم أفكر فى ذلك ! سوف نشترى الأرض !

ونظرا لبعضهما هو فى بهجة وهى فى اندهاش .

وصرخ فى صوت مرتفع :

ـ سأشتريها .. سأشتريها من منزل هوانج الكبير !

ـ انها بعيدة ، فعلينا أن نسير الصباح كله لنصلها .

فكرر :

ـ سأشتريها !

وفجأة وقفت وقالت :

ـ انه شيء جـديد أن نشترى الأرض ، فأرض الأرز جيدة ، وقريبة من مجـرى المـاء الكبير ، وبذلك يمكننا الحصول على الماء طوال السنة بالتأكيد .

ثم انتشرت ثانية الابتسامة البطيئة على وجهها ، الابتسامة التى لم تضىء تبلد عينيها الضيقتين مطلقا ، **وقالت بعد فترة طويلة من الصمت :**

ـ فى مثل هذا الوقت من العام الماضى كنت عبدة فى ذلك المنزل !

واستمرا فى السير صامتين ، مستغرقين فى هذه الفكرة .

غيرت قطعة الأرض هذه ، التى اشتراها وانج لانج حياته كثيرا . وفى البداية تمنى استرجاع فضته ثانية، عندما شـاهد فتحة الجدار المملوءة بالفضـة خاوية ،

لكن الأرض أصبحت ملكه ! وخرج فى يوم غائم من الشهر الثانى للسنة الجديدة ليراها ، لم يعرف أحد بعد أنها أصبحت ملكه . وأخذ يمشى فيها ليراها بنفسه . كانت حقلا طويلا من الطين الأسود الثقيل ، ممتدا بجانب مجرى الماء المحيط بحائط البلدة . وأخذ يفكر فى داخل نفسه وهو ينظر اليها :

ـ لا تعنى هذه القطعة الصغيرة من الأرض الكثير بالنسبة لأصحاب المنزل الكبير ، لكنها تعنى الكثير بالنسبة لى !

كان عندئذ مفعما بالتصميم والعزيمه ، وقال فى سره انه سيملأ الفتحة التى فى الجدار بالفضة ثانية ، وحتى انه قد يشترى من منزل هوانج كثيرا من الاراضى حتى أن هذه الأرض التى لديه الآن ستبدو لا شىء على الاطلاق .

وجاء الربيع برياح قوية ، وسحب يمزقها المطر . فكان ذلك بالنسبة لوانج لانج عبارة عن أيام طويلة من العمل فى ارضه ، وأخذ الرجل الكبير يعتنى بالطفل

والمرأة تعمل مع زوجها من شروق الشمس حتى مغيبها، الى أن رأى وانج لانج فى يوم ما أنها ستنجب طفلا آخر ، فى بادىء الامر يشعر بالحنق الا أنها لن تستطيع العمل أثناء المحصول ، **وصاح بها :**

ـ وهكذا ، اخترت هذا الوقت لتنجبين طفلا آخر ، هكذا ؟

فأجابت بحزم :

ـ هذه المرة خفيفة • فالمرة الأولى فقط هى الصعبة •

لم يذكر أى كلام آخر غير ذلك عن الطفل الثانى حتى جاء صباح يوم فى أيام الخريف وضعت فيه عزاقتها على الأرض ، وجرت نفسها عائدة الى المنزل • ولم يعد هو الى المنزل فى ذلك اليوم ، حتى لتناول وجبة الظهر ، لأن السماء كانت مثقلة بالسحب الرعدية وأرزه يرقد ناضجا منتظرا الجنى •• وقبل غروب الشمس عادت تعمل بجانبه ، **فاراد ان يقول لها فى البداية :**

ـ لقد قمت بعمل بما فيه الكفاية هذا اليوم . أذهبى ، ارقدى فى فراشك !

ولكن عمل جسده المكدود جعله قاسيا ، وقال فى نفسه انه عانى ذلك اليوم ، مثـــل ما عانت ، **ولذلك استفسر فقط قائلا :**

ـ أهو ذكر أم أنثى ؟

فاجابت بهدوء :

ـ انه ذكر آخر .

ولم يقولا شيئا لبعضهما ، ولكنه ابتهج ، وأصبح الانحناء والانبساط المستمرين أقل صعوبة ، وعمـــلا معا حتى أشرق القمر ، وعندما انتهيا من الحقل عادا الى البيت .

وبعد ما أكل ، وغسل جســـده الذى لوحته الشمس ، بماء بارد ، وأشفى غليل عطشه بالشاى ، دخل وانج لانج ينظر الى الابن الثانى..أبناء كل عام، فالمنزل يمتلىء بثروة طيبة .. لم تجلب له هذه المرأة

سنوى الثروة الطيبة ، وكانت المحاصيل جيدة مـــرة ثانية ، وجمع وانج لانج الفضة من بيع منتجـــاته ، وخبأها مرة أخرى فى الجدار • والأرز الذى جمعـه من أرض هوانج جلب له سعرا مضاعفا عن أرز أرضه هو ، حيث كانت أرض تلك القطعة رطبة غنية ، والأرز ينمو فيها كما تنمو الاعشاب حيثما تشاء • وعرف كل الناس الآن أن وانج لانج يملك تلك الأرض ، وكان هناك كلام فى القرية ليجعلوه كبيرهم •

بدأ فى ذلك الوقت عم وانج لانج يشكل قلقا ، كان قد حسب وانج لانج من البداية بأنه قد يحدث ، فهذا العم هو الاخ الاصغر لأبيه ، وحسب التقاليـد يمكنه كقريب أن يعتمد على وانج لانج ، اذا لم يكـن لديه ما يكفيه هو وعائلته •

وفى أحد الأيام جاء عمه الى الحقل ، حيث يعمل وكانت أو ــ لان غير موجودة لاقتراب ولادة ثالثة لها • وفى هذه المرة لم تكن فى حالة صحية حسنة ، لذلك كان وانج لانج يعمل بمفرده فى حرث صف من الفول،

وروقف عمه صامتا ، الى أن قال وانج لانج أخيرا بفظاظة دون أن يرفع بصره :

ـ أسألك المعذرة يا عمى لعدم توقفى عن العمل، فهذا الفول يجب أن يحرث مرتين أو ثلاث مرات كمـــا تعلم ، لاشك أنك انتهيت من فولك • اننى بطىء جدا ـ فلاح فقير ـ لا أنهى عمـــل فى وقتـــه مطلقا حتى أرتاح •

وفهم عمه تماما ما يعنيه رانج لانج ، ولكنه أجاب بلطف :

ـ اننى رجل سىء الحظ • فهذه السنة خرجـت حبة واحدة من عشرين حبة ، ونمت بشكل فقير ، فـلا فائدة حتى فى حرثها ، وعلينا أن نشترى حبوبا هذه السنة ان كان لنا حظ فى أكلها على الاطلاق •

لم يعقب وانج لانج بأى تعليق ، فاردف عمـــه قائلا بحزن :

ـ اذا كان لدى حظ طيب لتزوجت واحـــدة تستطيع العمل ، وفى نفس الوقت تنجب أبناء كمـــا

تفعل زوجتك ايضا بدلا من امرأة مثل امـــرأتي التى لا تنبت الا لحما ، ولا تنجب الا اناثا وهـــــذا الابن الكسول الذى لن يحسب ضمن الرجال بسبب كسله وكنت أنا أيضا سأصبح الآن غنيـا مثلك · وعندئذ كنت ساشركك في غناى عن طيب خاطر ، وكنت زوجت بناتك لرجال طيبين ، وألحق ابنك فى دكان تاجـر ليتعلم ، وابتهج لاصلاح منزلك ، وكنت أطعمك أفضل ما لدى أنت وأباك واولادك ، لأننا دم واحد ·

فاجاب وانج لانج بالتضاب :

ـ انك تعلم بأننى لست غنيا ، فلدى خمسة أفواه أطعمها حاليا ، وابى كبير لا يعمل ، لكنه لا يزال يأكل كما سيولد فم آخر فى المنزل بين لحظة وأخرى ، هذا كل ما أعرفه ·

فاجابه عمه بصوت عال :

ـ أنت غنى ·· أنت غنى ! لقد اشتريت الأرض من البيت الكبير ، والآلهة وحدها تعلم بأى سعر ـ هل يوجد احد يستطيع أن يفعل ذلك فى القرية كلها ؟

أثار ذلك حنق وانج لانج ، فألقى بعزاقته أرضا وصاح فجأة :

ـ اذا كان لدى حفنة من الفضة ، فذلك لأننى أعمل وزوجتى تعمل ، ولا نجلس كغيرنا كسالى على مائدة صالة الشاى أو نتكلم على عتبات أبواب لم تكنس أبدا ، وندع الحقول تتحول الى أعشاب ضارة وأطفالنا أنصاف جائعين !

طفح الدم فى وجه عمه الأصفر ، فاندفع نحو ابن أخيه ، وضربه بقسوة على وجهه وقال :

ـ خذ هذا ، أتتحدث هكذا لعمك أخى ابيك ؟ أليس لك دين ! أو اخلاق ! حتى ينقصك السلوك الصحيح لهذه الدرجة ؟ ألم تسمع فى الكتب المقدسة أنها تنهى الانسان أن يراجع من هم أكبر منه ؟

وقف وانج لانج بلا حركة ، شاعرا بخطئه ولكنه كان حانقا فى أعماق قلبه من هذا الرجل الذى صرخ فى صوت مرتفع مشروخ من الغضب مرات متكررة :

ـ سأقولها للقرية ٠٠ سأقولها للقرية ٠٠ !

فقال وانج لانج اخيرا عن طيب خاطر :

ـ ماذا تريدنى أن أفعل ؟

لقد خاف أن يذاع هذا الموضـــوع فى القـــرية فيجرح كبرياءه ، ومهما يكن فهذا لحمه ودمه ٠ وتغير عمه فى الحال ، وزال الغضب عنه وابتسم واضعاً يده على ذراع وانج لانج ، **وقال برقة :**

ـ آه ، أنا أعرفك ٠٠ ولد طيب ٠٠ ولد طيب٠٠ ان عمك العجوز يعرفك ـ انت ابنى ٠٠ ابنى ، قطـــع فضة قليلة فى هذه اليد المسنة الفقيرة ـ قل عشر قطع او حتى تسعا ٠٠ ويمكننى ان ابدأ فى ترتيب زواج لابنتى ٠

التقط وانج لانج عزاقته ، ثم القى بها ثانية ، **وقال باقتضاب :**

ـ تعال الى المنزل ، فانا لا أحمل الفضة معـــى كالملوك ٠

سار أمامه وحنقه يمنعه عن الكلام لان بعض المال الذى خطط أن يشترى به ارضا أخرى ، سيذهب الى يد عمه • ودخل الى الحجرة التي ينام فيها مع زوجته وطفله الأخير • وكانت معتمة جدا ، خصوصا لانه قادم من نور الشمس المبهر ، ولم يستطع أن يرى شيئا عدا شعاع الضوء القادم من الفتحة ، وشم رائحة دم دافيء يتذكره جيدا ، فصاح بحدة :

ـ ماذا الآن ! هل جاء موعدك ؟

فجاء صوت زوجته من الفراش بضعف أكثر مما سمعها تتكلم به فى أى وقت من قبل :

ـ لقد انتهيت مرة أخرى ـ أنها مجرد عبدة هذه المرة ـ لا تستحق أن تذكر !

وقف وانج لانج ساكنا ، وأصابه احســــاس بالشؤم • بنت ! بنت ! بنت ولدت فى هذا البيت ؟!

وخرج وألقى بالمال لعمه ، ومشى بسرعة عائدا الى الحقل ، واندمج فى العمل ثانية • وجاء المساء قبــل

أن يزول حنقه ، فرفع قامته واعتدل ، وتذكر منزله وطمامه ، ثم فكر في هذا الغم الجديد الذى جاء في ذلك اليوم الى منزله · وشعر بالاسف ، فلقد بدأ مولد البنات عنده ·· البنات اللاتى لا ينتسبن لآبائهن ولكـــن يولدن ويربين لعائلات أخرى · حتى أنه لم يفكر أثناء غضبه من عمه ان يتوقف ويرى وجه هـــذه المخلوقة الصغيرة الجديدة ·

ووقف مستندا على عزاقته وقد خيم عليه الحزن، قد يحتاج الى محصول آخر قبل أن يستطيع شراء هذه الأرض الآن ، انها قطعة ملاصقة لأرضه · وهناك هذا الغم الجديد في المنزل ·· وطارت عبر سماء الليـــل الرمادية الشاحبة مجموعة من الطيور فاحمة الســواد وهى تزعق عاليا ، وراقبها تختفي كسحابة في الاشجار المحيطة بمنزله ، فركض اليها صارخا وملوحا بذراعيه، فارتفعت ثانية ببطء ، محلقة فوق رأسه ، مثيرة لغضبه بصراخها ، الى أن طارت أخيرا في السماء المدلهمة · فصرخ عاليا ·· انها اشارة بأن حظا سيئا سيصيبه !

الفصل الرابع

كان يبدو أن الآلهة قد تنكرت للانسان ، فلن تتطلع اليه ثانية ، فالامطار التى كان من المفروض أن تأتى فى بداية الصيف ، تمنعت عن القدوم ، والسماء تسطع بلا مبالاة باشراق نشط يوما بعد يوم ، فجفت الحقول وتشققت برغم أن وانج لانج يحرثها كل يوم بدون انقطاع .. كما توقف القمح الصغير عن النمو وظل بلا حركة تحت الشمس ، حتى ذبل ومـات . وكانت شتائل الارز التى بذرها وانج لانج عبارة عن مربعات من اللون الأخضر على الأرض السمراء ،

وبرغم انه يأس من نمو سنابل القمح ، فقد اخذ يحمل لها الماء كل يوم بواسطة الجرادل الخشـــبية الثقيلة المعلقة على دعامة فوق كتفيه ·

وفي النهاية غاص مستوى الماء في البئر لدرجـة ان أو ـ لان قالت له :

ـ اذا كان لابد للاطفال أن يشربوا ويحصل الاب الكبير على مائه الساخن ، فلابد من ان يجف الزرع !

فاجاب وانج لانج بغضب :

ـ حسن ، سيموت الجميع لو مات الزرع ·

كان ذلك حقيقيا ، فحياتهم كلهـــا تعتمد على الأرض · وقطعة الارض التى أثمرت فقط هى التي بجانب مصرف البلدة ، وذلك لأن وانج لانج قد ترك كل الحقول الاخرى وبقي طول النهار فى هذه القطعة يحصل على الماء من المصرف ويصبه في التربة العطشى· ولاول مرة يبيع محصولها هذه السنة ، وعندما وصلت الفضة الى يده ، قبض عليها بقسوة ، وقال لنفسه بأنه

سيفعل ما عقد العزم عليه ٠ لقد كسر ظهره وأراق عرقه لهذه الحفنة من الفضة ، وسيفعل بها ما يريد ٠ فأسرع الى منزل هوانج وقابل وكيل الارض هنـــاك ، وقال بدون رسميات :

– لدى مال لاشترى الأرض الملاصقة لأرضي بجانب مصرف البلدة ٠

لقد سمع وانج لانج من هنا وهناك أن هذه السنة كانت أكثر فقرا على منزل هوانج ٠٠ فالسماء لم ترسل المطر الى حقول منزل هوانج أيضا فلم تدر أى محصول لذلك عندما جاء وانج لانج الى الوكيل صارخا « معى فضة » ، فكان كمن قال لجائع « معى طعام ! » وانتقلت النقود من يد الى أخرى ، وتم التوقيـــع على الاوراق وأصبحت الأرض ملكا له ٠

أصبح لديه الآن حقل كبير من الأرض الطيبـــة لان الحقل الجديد أكبر مرتين من الحقـــــل الاول ٠ كونه اشتراه من عائلة هوانج كانت حقيقة أكثر اهمية

بالنسبة له عن أى شىء آخر ٠ ولم يخبر احدا بما فعله هذه المرة ، ولا حتى أو ــ لان ! ٠

ومر شهر وراء شهر ، ولم تمطر السماء ، وأخـذ وانج لانج من حقوله محصولا ضئيلا من الحبـــوب ، وتساقطت حبات القمح من قمم سنابله هنا وهناك ، وعندما جاء يكنس ما تبقى ليستخدمه فى اشعال النار، تكلمت زوجته قائلة :

ــ كلا ٠٠ لا تهدره في الحريق ، أتذكر عنـدمـا كنت طفلة في شانتونج جاءت سنوات مثل هذه ، فكنا نطحن كل جزء ، فهو افضـــل على أية حـــال مـــن العشب ٠

وسكت الجميع حتى الاطفال ، عندما تكلمت ٠ كان الخوف يحيـــط بهم فى تلك الايام الغريبـــة ، فالشمس مشرقة والأرض عاجزة !

واهتم وانج لانج بثوره بقدر ما يستطيع ، فكان يطعمه قليلا من القش وحفنة من العشب ، وبعد ذلك

كان ينزع أوراق الشجر ويعطيها له كطعام ، حتى جاء الشتاء وذهبت هذه أيضا ، وجاء يوم ولم يبق فى البيت ارز ولا قمح ولم يوجد الا قليل من الفول ، وكان الثور يصرخ من الجوع ، **فقال الرجل الكبير :**

ـ سنأكل الثور !!

فصرخ وانج لانـــج عندئذ ، وكأن أباه قد قال « سنأكل انسانا ! » ٠ لقد كان الثور رفيقه فى الحقول وكم سار من خلفه يمدحه ، ويسبه ، ومن صباه وهو يعرف الحيوان منذ أن اشتروه صغيرا ، **فقال بحـــزن شديد :**

ـ كيف نأكل الثور ؟ وكيف نحرث ثانية ؟!

ولكن الاب العجوز أجاب بهدوء :

ـ حسن ٠٠ اما حياتك أو حياة الحيوان ! أو حياة ولدك أو حياة الحيوان ٠٠ فالانسان يمكن أن يشترى ثورا آخر ولكنه لا يستطيع أن يشترى حيــاة أخرى !

فقال وانج لانج بخشونة :

ـ اذبحوه اذن ، أما أنا فلا استطيع أن اقوم بذلك ٠

وذهب الى الحجرة حيث ينام ، وطرح نفسه على الفراش ، ولف الغطاء حول رأسه ،حتى لا يسمع الحيوان وهو يذبح ٠٠ وانسلت أو ـ لان خارجة ، واصطحبت معها سكينا كبيرا كان عندها بالمطبخ ، وجزت به رقبة الحيوان بجرح غائر أنهى حياته ٠٠ ولكن الثور سرعان ما تم أكله وهرست عظامه وكأنه لم يكن ٠

كان هناك من البداية غضب بالقرية ضد وانج لانج ، لأنه من المفروض أن لديه فضة يخفيها ، وطعاما مخزونا فى مكان ما ٠ وأتى عمه الذى كان من بين أول من جاءوا فجاء يشحذ على الباب ، وفى الحقيقة كان الرجل وزوجته واولاده السبعة فى حالة بائسة وليس لديهم شيء يأكلونه ٠ وضع وانج لانج ـ وهو كاره ـ فى ازار ملابس عمه كومة صغيرة من الفول وحفنة ثمينة من القمح ، **ثم قال بحزم :**

ـ انه كل ما أستطيع الاستغناء عنه ، ولدى أبى العجوز فوق كل اعتبار ، حتى لو لم يكن لدى أطفال ٠

. . .

وعندما أتت عائلة وراء أخرى على مخزونهـــا ، وأنفقت آخر عملة لديها في أسواق البلدة ، ثم جاءت رياح الشتاء من أعلى الصحراء باردة كســكين مـن الصلب . استحوذ على قلوب القرويين الجنون بجوعهم وجوع زوجاتهم وعويل أطفالهم ، وهمس عم وانج لانج فى الشارع « هناك من عنده طعام ــ هناك من لا يزال أولاده ممتلئين » فأخذ الرجال العصى ، وذهبوا فى احدى الليالى الى منزل وانج لانج وطرقوا الباب . وعندمـا فتحه على أصوات جيرانه . ضربوه ، ودفعوا به عن طريق الباب . وألقوا بأولاده المفزوعين خارج المنزل . وفتشوا كل ركن . ومزقوا بأيديهم كل شيء ليعرفوا أين طعامه، ولما وجدوا مخزنه البائس ليس فيــه شيء ســوى قليل من الفول الناشف ، وكيلة من القمح الجاف . فأطلقوا صرخة خيبة أمل غاضبة ، وامسكوا بقطع أثاثه : المائدة والمقاعد والفراش الذى يرقد عليـــه الاب الكبير خائفا مولولا . **فصاحت أو ــ لان :**

ــ ليس هذا أيضا ٠٠ لم يأت الوقت بعد لتأخذوا مائدتنا ، ومقاعدنا وفراشنا من منزلنا ٠ لقد أخذتم كل

طعامنا ، أنتم أنفسكم لم تبيعوا موائدكم ومقاعدكم من منازلكم بعد ، فلنتركوها لنا ·· نحن متساوون في المصيبة ، وليس لدينا حبة فول ، ولا حبة قمح أكثر منكم ـ بل لديكم أنتم اكثر منا الآن ـ لأنكم أخذتم كل ما لدينا · وستأخذكم السماء بغتة اذا أخذتم أكثر ، وسنذهب الآن سويا لنلتقط العشب والحطب من الاشجار ـ انتم من أجل اولادكم ، ونحن من أجل اولادنا ·

فخجل الرجال أمامها وخرجوا واحدا وراء الآخر، لانهم لم يكونوا اشرارا الا عندما يموتون من الجوع وقلة الطعام !

ووقف وانج لانج في فنائه ، حيث كان يضرب الغلال من محصوله الطيب خلال السنين الماضية ، والذى أصبح خاويا عديم الجدوى لمدة شهور طويلة ، لم يتركوا شيئا في المنزل لاطعام أبيه المسن وأطفاله ـ لا شيء لاطعام زوجته · وتملكه للحظة خوف شديد ، ثم جاءته فكرة أدفأته وأراحته مثل النبيذ :

ـ انهم لا يستطيعون اخذ الأرض مني ، اذا كانت فضة لأخذوها • لكن الأرض فمازلت املكها !

ولكنه قال لنفسه بأنه يجب أن يفعل شيئا ، فلا يمكنهم البقاء هنا في هذا المنزل الخاوي ويموتون • فلقد أكلوا آخر القمح ، ولم يعودوا قادرين على النهوض من الفراش •• وكان الناس ـ على مستوى الريف كله يأكلون أى عشب يمكن أن يجدوه على التلال الشتوية، وحتى الحيوان لم يعد له وجود فى أى مكان • فقد يسير الانسان لمدة أيام دون أن يرى ثورا أو حمارا أو أى نوع من الحيوان أو الطير •

كانت بطون الاطفال منتفخة وخاوية ، وأصبحت أجسامهم ناتئة بعظام حادة صغيرة مثل عظام الطيور، ماعدا بطونهم • ولم تتمكن الطفلة من الجلوس أبدا ، رغم أن سنها كان يسمح بذلك ، فهى دائمة الرقاد ، ووجهها المجوف الصغير له شفاه زرقاء مثل شفاه سيدة عجوز بلا أسنان ، وعيون سوداء غائرة ، وكان ينظر اليها احيانا ، ويهمس برقة :

ـ بلهاء مسكينة ‥ بلهاء صغيرة مسكينة ٠

وحاولت البنت ذات مرة أن تبتسم ابتسامة مقتضبة ، فانفجر فى الدموع ، وأخذ يدها الصغيرة فى يده ، وشعر بضغطها على أصابعه ٠ أما بالنسبة للأب الكبير فكان حاله افضل الجميع ، لانهم اذا وجدوا أى شيء يؤكل أعطوه له ، حتى لو كان الأطفال ليس لديهم أى شيء يؤكل ، وكان أكثرهم مرحا ، وصرخ فى احد الأيام بصوته العجوز :

ـ كانت هناك أيام أسوأ ‥ كانت هناك أيام أسوأ ‥ لقد رأيت رجالا ونساء يأكلون الأطفال !

فقال وانج لانج فى اشمئزاز زائد :

ـ لن يحدث مثل هذا فى بيتى !

وجاءه ذات يوم جاره شينج الذى أصبح أقل من هيكل بشرى ، ووقف أمام باب المنزل وهمس من بين شفتيه الجافتين السمراوين كالأرض :

ـ لقد اكلنا الحيوانات التى تحرث حقولنا ، والعشب وخشب الاشجار ، فماذا بقى الآن للطعام ؟

ثم قرب وجهه اكثر وقال :

- أنهم يأكلون لحم البشر فى القرية !!

ثم همس قائلا :

- ويقولون أن عمك وزوجته يأكلونه ٠٠ والا فكيف يعيشون ، وبقوة تكفيهم ليمشون ، والمعروف أنهم لا يملكون شيئا ٠

تراجع وانج لانج عن رأس شينج - الشبيهة بالموت - التى تقدمَ بها وهو يتكلم ٠ وفجأة خاف خوفا لم يفهمه ، فنهض بسرعة وكأنه يهرب من خطَر ، **وقال بصوت عال :**

- سنترك هذا المكان ، سنذهب الى الجنوب !

فى كل مكان فى هذه البلاد الشاسعة أناس يموتون ، ولكن مهما كانت السماء غاضبة ، فلن تهلكنا جميعا مرة واحدة !

خطر له عندئذ فجأة أن ما قاله هو عين الصواب، **فنادى بصوت مرتفع على أو - لان التى كانت ترقد فى فراشها منذ أيام بدون كلام :**

ـ تعالى يا امرأة ، سوف نذهب للجنوب !

كان في صوته فرحة لم يسمع أحد مثلها منـــذ شهور طويلة • ورفع الأطفـــال بصرهم ، وخرج الأب العجوز من حجرته ، وقامت أو ـ لان ببطء من فراشها، وجاءت الى باب حجرتهم ، **وقالت وهي تستند عـــلى الباب :**

ـ لا بأس ، على الأقل يستطيع الانسان أن يموت وهو سائر •

ففكر لنفسه :

ـ وكيف ستسيرين يا مسكينة ؟ !

ثم قال كارها لجاره شينج الذى كان لا يزال مستندا على جدار المنزل بجوار الباب :

ـ اذا كان لديك أى طعام باق ، فأعطنى بحق الحب الذى بيننا حفنة لانقاذ حياة أم أولادى !

ـ لدى فقط حفنة صغيرة من الفول الأحمر الجاف مدفونة تحت عتبة الباب •

لقد وضعناه أنا وزوجتي لطفلنا ولنا عند آخر ساعة ، حتى نموت وفى معدتنا قليل من الطعام ، سأعطيك بعضا منه ، وغدا فلتذهب الى الجنوب ، اذا استطعت • أما أنا فسأبقى مع عائلتى ، اننى مسن ، وليس مهما أن أعيش أو اموت !

وذهب ثم عاد بعد قليل ومعه حفنة من الفول الأحمر فى قطعة قماش قطني متسخة من تراب الأرض ، فهاج الاطفال عند رؤية الطعام ، ولمعت عينا الأب العجوز ، ولكن دفعهم وانج لانج بعيدا ، وأخذ الطعام الى زوجته ، وهى راقدة ، فأكلت القليل ، فولة فولة •

وأخفى وانج لانج قليلا من الفول فى يده ، ثم وضعها فى فمه هو ، وجز عليها حتى أصبحت لينة ، ثم وضع شفتيه على شفتى ابنته الطفلة ، ودفع بالطعام فى فمها . وراقب شفتيها تتحركان ، وأحس ان الطعام دخل معدته هو !

وفى الصباح التالى ، عندما أشرقت الشمس ـ على منوالها ـ فى سمائها الزرقاء الساطعة ، فبدى له

أنه مجرد حلم أن يقدر حتى فى التفكير فى ترك منزله مع هؤلاء الأطفال العاجزين ، وزوجته الواهنة وأبيه العجوز . كيف يجرون أجسادهم النحيلة ما يزيد عن مائة ميل ، ومن يدرى ان كان يوجد طعام فى الجنوب أم لا ؟

لم يكن لديه نقود ، فآخرها أنفقها منذ مدة . ولكن حتى النقود ليست لهـا قيمة الآن ، فلا يوجد أي طعام يشترى . لقد أخذ حفنة من الأرض من أحد الحقول وأعطاها لأطفاله ، وأخذوا يأكلونها مع الماء لعدة أيام ، فأسكنت جـوعهم لفترة ، فلقد ملأوا جـزءا من بطونهم المنتفخة الخاوية .

وبينما هو جالس عند الباب ، فاقد الأمل ومفكرا في متعة خيالية للرقاد على فراشـه ، والموت ينسـاب اليه بيسر ، جاء بعض الناس عبر الحقول ـ متجهين نحوه فاستـمر في جلوسه حتى اقتربوا منه ، فرأى عمه ومعه ثلاثة رجال لا يعرفهم .

وقال عمه بصوت عال متظاهرا بالابتهاج :

ـ لم أرك منذ أيام كثيرة !

ثم اردف بنفس الصوت العالى وهو يقترب :

ـ وكيف حالك ؟ وحال أبيك ، أخى الأكبر ، هل هو طيب وبخير ؟

فنظر وانج لانج الى عمه . كان هزيلا حقا ، لكنه لا يموت من الجوع ، كما هو متوقع . شعر وانج لانج ببقايا آخر قوة فى حياته تتجمع فى جسده الواهن وتتحول الى حنق عظيم ضد هذا الرجل ، عمه ، الذى اضاف قائلا :

ـ لم أفكر الا فيك وفى أبيك الذى هو أخى ، وسأثبت لك الآن ـ لقد اقترضت من هؤلاء الرجال الطيبين من البلدة قليلا من الطعام ، على وعد أننى بالقوة التى ستعطيها لى ، سأساعدهم فى شراء بعض الأرض حول قريتنا ، ثم فكرت فى أرضك الطيبة أول الكل ، يا ابن أخى . لقد جاءوا معى ليشتروا أرضك ويمنحوك نقودا .. طعاما .. حياة !!

لم ينهض وانج لانج ، ولم يتعرف على الرجال الذين جاءوا معه ، لكنه رفع رأسه لينظر اليهم فرأى

أنهم فعلا رجال من البلدة مرتدين أردية طويلة من الحرير المتسخ ، وأيديهم ناعمة ، وأظافرهم طويلة ، وأحس فجأة ببغض مهول نحوهم . ها هم قادمون ليأخذوا أرضه منه ! فنظر اليهم نظرة كليلة ، وعينيه غائرتين فى وجهه ناتىء العظام **وقال :**

ـ لن أبيع أرضي !

وجاء فى هذه اللحظة ابنه الصغير يزحف على يديه وركبتيه الى طريق الباب ، فلقد عاد الطفل للتحرك كما كان يفعل وهو طفل رضيع ، منذ أن أحس بقليل من القوة فى الأيام الأخيرة ، **فصرخ عمه :**

ـ هل هذا ولدك ؟

ونظر الجميع الى الطفل وبدأ وانج لانج يبكى فجأة فى صمت ، وهو الذى لم يبك مطلقا طوال هذا الوقت ، وتجمعت الدموع فى حبات كبيرة من الألم وتدحرجت على وجهه ، **فهمس أخيرا :**

ـ أى ثمن ستدفعون ؟

أجـل فهناك أطفـال يجب أن يأكلوا مـع الأب الكبير ، **وتكلم واحد من رجال المدينة :**

ـ أيها المسكين ، سنعطيك أفضل سعر فى أى مكان فى هـذه الأيام من أجـل الولد الذى يموت من الجوع . سنعطيك ...

وتوقف ثم قال بخشونة :

ـ سنعطيك ربطة مائه بنس(*) لكل فدان .

فضحك وانج لانج بمرارة وقال :

ـ لماذا ؟ انكم تأخذون أرضى كهدية ! فانا أدفع عشرات أضعاف ذلك عندما أشترى أرضا !

فقال رجل آخر من المدينة :

ـ آه ، ولكن الأمر يختلف ، عندما تشتريها من أناس يموتون من الجوع .

(★) عملة نحاسية قليلة القيمة .

فنظر وانج لانج الى الرجال الثلاثة · كان هؤلاء الرجال متأكدين من موقفهم ! فقام ناهضا وصاح فيهم :

ـ لن أبيع أرضى أبدا ! سأنبش الحقول قطعة قطعة وأطعم الأرض نفسها لأبنائى ، وعند موتهم سأدفنهم في الأرض ، وسنموت أنا وزوجتى وأبى على الأرض التى أعطتنا الميلاد !

كان يصيح بعنف ، وذهب غضبه عنه كما تذهب الريح فجأة ، ووقف ينتفض ويبكى · ووقف الرجال يبتسمون باستخفاف وعمه بينهم ، ولم يتحركوا ، اذ اعتبروا هذا حديث انفعال ، فانتظروا حتى يزول غضب وانج لانج · وعندئذ جاءت فجأة أو ـ لان الى الباب وتحدثت اليهم بصوتها الثابت ، وكان هذه الأمور تحدث كل يوم فقالت :

ـ اننا بالتأكيد لن نبيع الأرض ، والا عندما نعود من الجنوب فلن نجد ما يطعمنا ، لكننا سنبيع المائدة ، والسريرين بفراشهما ، والكراسى الأربعة وحتى قدر الموقد الحديدى ·

كان في صـــوتها هـدوء أقوى من كـل غضب وانج لانج • وهمس الرجال بين أنفسهم **والتفت واحد منهم وقال :**

ـ انها أشياء فقيرة ، ولا تستحق الا الحـرق • قطعتين من الفضة مقابل ذلك • فكروا !

واسـتدار بعد ما أنهى كلامه بوقاحة ، ولـكن **أو ـ لان أجابت بهدوء :**

ـ انه أقل من ثمن سرير واحد ، ولكن اذا كان معكم الفضة ، فاعطوها لى بسرعة ، وخذوا الأغراض •

وعنـدما تم كـل شيء ، وأصبح المنزل خاويا ، **قالت أو ـ لان لزوجها :**

ـ دعنا نذهب وفى أيدينا قطعتان من الفضة !

فأجاب وانج لانج باخلاص :

ـ فلنذهب !

نظر عبر الحقول نحو الأشباح الصغيرة للرجال وهم يبتعدون **وقال لنفسه :**

– على الأقل لدى الأرض !

كان ما عليهم سوى أن يغلقوا الباب ، ويثبتوا القضيب الحـديدى ، فهـم يرتدون كل ملابسـهم ، ووضعت أو – لان فى يد كل طفل طاسة أرز فارغة ، فأخذها الطفلان الصغيران بحماس ، وأمسكا بها كوعد لطعام قادم · وهكذا بدأوا عبور الحقول ·· موكب صغير حزين يتحرك ببطء شديد وكأنهم لن يصلوا الى حائط البلدة مطلقا ·

وعند وصـــولهم الى البـوابة ، حيث استمتع وانج لانج ببرودتها ذات مرة ، تجمدت أوصـــاله وهو يجابة حاليـاالريح الشتوية التى تندفع بشـدة عبر البوابة كاندفاع المـاء المثلج بين الصـخور · وكانت الأرض من تحت أرجلهم مغطاة بابر من الثلج ، ولـم يستطع الأولاد الصغار أن يحرزوا أى تقدم ، وكانت أو – لان تعوقهـا البنت التى تحملهـا ·· وكافـــح وانج لانج وهـو يشـق طريقه مـع الرجـــل العجوز وأجلسه ، ثم عاد ورفع كل طفل وحمله عبر البوابة

وعندما انتهى من ذلك استند على الحائط الرطب يتصبب عرقا وتلاحقت أنفاسه ، وأسرته تنتظر من حوله ٠

مروا عبر البلدة ببطء شديد ، واتجهوا الى الجانب الجنوبى منها ، والمساء يقترب بظلامه ، ووجدوا جمهرة من الناس متجهين الى الجنوب فسأل وانج لانج رجلا مر به :

ـ أين يذهب كل هؤلاء الناس ؟

فقال الرجل :

ـ اننا نموت من الجوع ، وسنذهب لنلحق بالعربة النارية ، ونركب الى الجنوب ٠ انها تغادر من ذاك المنزل هناك ٠ وتوجد عربات لامثالنا مقابل ما يقل عن قطعة فضة ٠

عربة نارية ! لقد سمع وانج لانج الناس فى الأيام الماضية تتكلم عن هذه العربات فى صالة شاى ، وهى عبارة عن عربات مربوطة الواحدة تلو الأخرى ، ولايجرها انسان ولا حيوان ، انما ماكينة تتنفس نارا وبخارا ، **فالتفت للمرأة بريبة وقال :**

ـ هل نذهب نحن أيضا ونركب العربة النارية هذه ؟

وسحبوا الرجل العجوز والأطفال بعيدا عن الحشود والمارة ، نظروا الى بعضهم البعض بقلق ، وانهار الأب الكبير على الأرض ورقد الولدان الصغيران بجواره بغض النظر عن الأقدام المحيطة بهم فى كل مكان ، ومازالت أو ـ لان تحمل الطفلة ، وتدلت رأس ابنتها على ذراعها ، ونظرة موت بادية على عينيها المغلقتين **حتى صرخ وانج لانج ، متناسيا كل شيء آخر :**

ـ هل ماتت الصغيرة ؟

فهزت أو ـ لان برأسها :

ـ كلا ، لكنها ستموت هذه الليلة ونحن جميعا سنموت أيضا الا اذا ..

ثم نظرت اليه ، وكأنها لم تستطع أن تقول كلمة أخرى ، فلم يجب وانج لانج ، ولكنه فكر فى دخيلته ،

اذا ساروا يوما آخر هكذا فسيموتون جميعهم لا محالة، فصرخ :

- انهضوا يا أبنائى ، وســـاعدوا جدكم على النهوض ، سنذهب ونركب العربة النارية ، ونجلس أثناء سفرنا للجنوب !

ولكن لا يدرى أحـد ان كانوا سيتحركون أم لا .. وما أن صدر صوت كالرعد منبعثا من الظـــلام كصوت حيوان مهـــول بعينين كبيرتين ، حتى صرخ الجميع وركضوا خائفين ، وحملهم الزحام فى هـذا الارتباك هنا وهناك الى أن دفع بهم عبر باب صـــغير مفتوح بطريقة ما لا يدرون كيف حدثت فى الظـلام المعتم ، وسط صراخ وعويل عـديد من الاصـوات . ودخلوا فى حجرة تشبه الصندوق . ثم اندفع الشىء الذى يركبونه بزئير متواصل ، يشق الظلام وهـو يحملهم فى جوفه !

الفصل الخامس

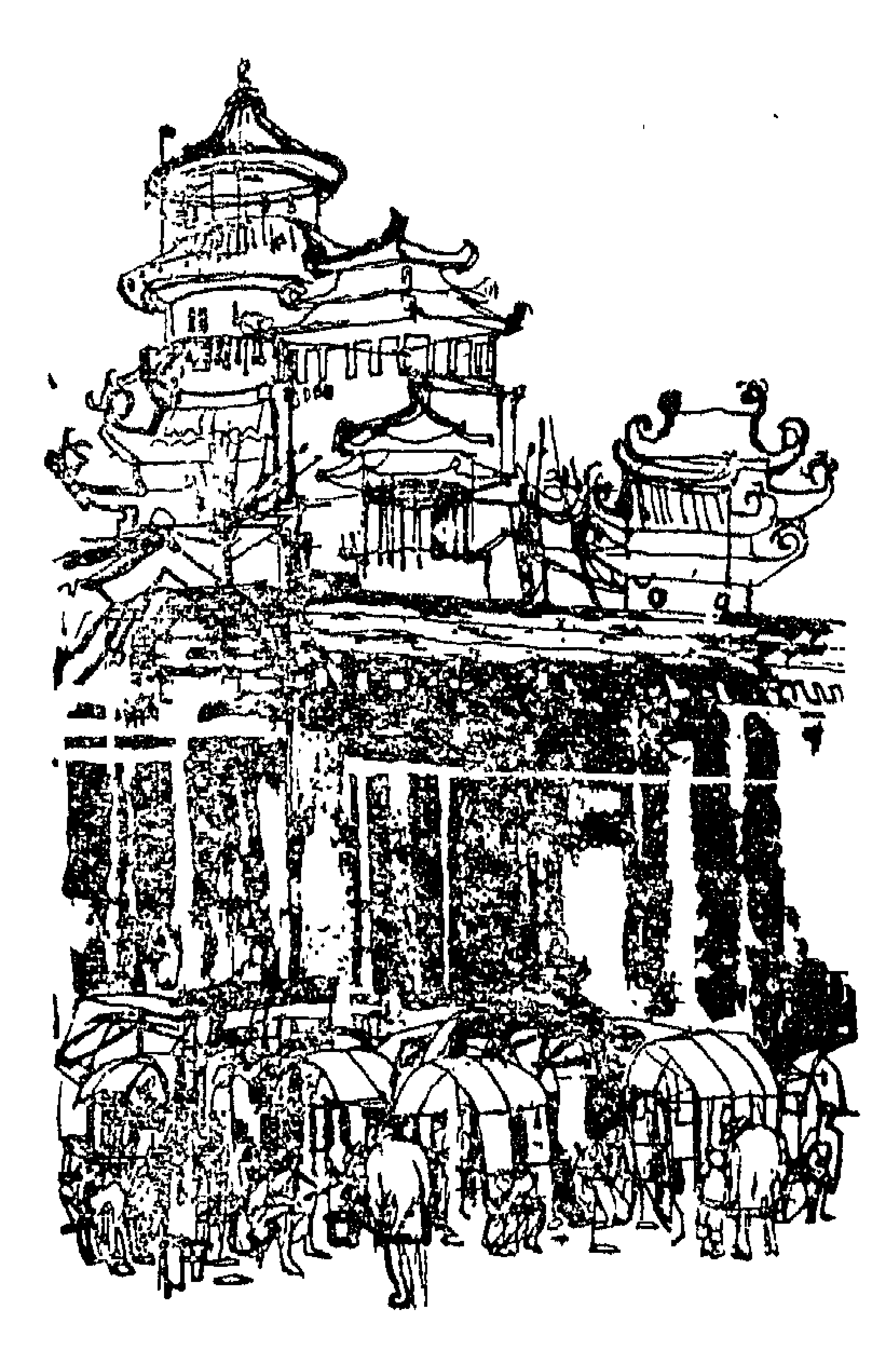
دفع وانج لانج قطعتى الفضة لرحلة مائة ميل ، وأعاد له المحصل الذى أخذهما منه حفنة من البنسات النحاسية . واشترى ببعض منها أربعة أرغفة خبز صغيرة وطاسة أرز مسلوق للبنت ، واحتفظ بكل ما يقدر لشراء حصير لاقامة مأوى عندما يصلون الجنوب .

وكان لدى وانج لانج خطة عندما أخذتهم العربة النارية الى آخر مدى تذهب اليه . اذ أسند الأب العجوز على جدار رمادى طويل لأحد المنازل وقال للمرأة أن

تراقبهم ، وذهب لشراء الحصر ، فوجد محلا للحصر فى طرف المدينة ، فوضع بنساته كشخص يعرف السعر وحمل لفة حصره • وعندما رجع الى المكان الذى تركهم فيـــه وجـدهم واقفين ينتظرونه ، وصرخ الاولاد فى ارتياح لرؤيته ، ولاحظ انهم كانوا مملوئين بالفزع فى هذا المكان الغريب • كان الأب الكبير هو الوحيد الذى يراقب كل شيء بمتعـــة ، واندهاش **وقـــال لوانج لانج :**

– يمكنك أن ترى جميع أهل الجنـوب مكتنزين وجلودهم دهنية شاحبة ، انهم يأكلون اللحم كل يوم بلا شك •

لم ينظر أحد من المارة الى وانج لانج وعائلته ، فهم يأتون ويروحـون منشغلين على طـــول الطـريق الرئيسى للمدينـــة ، ولا ينظرون الى الشحاذين من حولهم مطلقا • ومن حين لآخر يأتى صف من الحمير المحملة بسلال الطوب من أجل بناء المنازل أو بأكياس الحبوب الكبيرة على ظهورهم • وكانت هناك آكـواخ



فى مدينة الجنوب الكبيرة .

أخرى مقابل الجدار الذى خلفهم ، ولا أحد كان يعرف ما الذى فى داخل الجدار ، ولا يوجد سبيل للمعرفة ، فهو جدار رمادى طويل ومرتفع جدا · لاحظ وانج لانج الأكواخ ، وبدأ يشكل حصره بمختلف الطرق ، ولكنها بدت جامدة بشعة فيأس ، **وقالت أو ـلان فجأة :**

ـ استطيع أن أفعل ذلك · اذكر أننى فعلتها فى طفولتى ·

وأجلست البنت على الأرض ، وسحبت الحصر هنا وهناك ، وشكلت سطحا دائريا وصل الى الأرض ، وكان مرتفعا بما يكفى لرجل يجلس تحته ، ووضعت بعضا من الطوب الملقى من حولهم على أطراف الحصر ، وعندما انتهت دخلوا فيها ، وجعلوا حصيرة واحدة كأرضية ، وجلسوا عليها فى حماية فى هذا الكوخ البائس وملأهم شعور بالوفرة فى هذه البلاد الغنية حيث لا يبدو فيها أحد جائع ، **وعندما قال وانج لانج :**

ـ فلنذهب للبحث عن المطبخ الشعبى ·

نهضوا بانشراح ، وساروا مرة أخرى ٠

كان كثير من الناس يمشون ، على طول الشارع، حاملين طاسات وجرادل واوانى من الصفيح ؛ انهم ذاهبون الى مطابخ الفقراء ٠ ويوجد خلف هذه المبانى مواقد أكبر مما رآها وانج لانج فى حياته ، ومن فوقها أوان حديدية ضخمة ، وعندما رفعوا الاغطية الخشبية ظهر الارز الابيض المسلوق اللذيذ ، وتتصاعد منه رائحة البخار الحلوة ٠ وكانت أحلى رائحة فى العالم بالنسبة لهم ، وتقاتل الناس كالوحوش حتى أكل الجميع ٠ ولم يستطع وانج لانج أن يفعل شيئا سوى أن ينتظر من أجل أبيه ومن أجل ولديه ، ودفعة الزحام نحو الوعاء الكبير فقدم طاسته وعندما ملأها القى لهم ببنس واحد ٠ وكان يحتاج لكل قواه ليقف ثابتا ، ولا يجرفونه قبل أن يتم المهمة !

وعادوا الى الشارع ثانية ، ووقفوا يأكلون ارزهم ، أكل حتى شبع ، وتبقى القليل فى طاسته فقال :

ـ سآخذ هذا الى بيتنا لآكله فى المساء ٠

فانبرى رجل بالقرب منه يبدو أنه من حرس المكان ، لانه يرتدى ملابس خاصة زرقاء وحمراء .

وقال بحدة :

ـ كلا ، لا يمكنك أن تأخذ شيئا معك الا ما فى معدتك ٠ يجب أن يكون هذا دستورنا ، حيث يوجد أناس غلاظ القلوب يأتون ويشترون الارز ـ مقابل بنس ولا يطعمون به انسانا مثلكم ـ بل يحملونه ليطعموا به خنازيرهم ٠٠ !

قادهم وانج لانج جميعهم راجعين الى الكوخ الذى اقاموا ، وألقوا بأنفسهم ، وناموا حتى الصباح التالى ، وذلك لانها المرة الأولى منذ الصيف التى أكلوا فيها حتى شبعوا فغلبهم النوم ٠

واحتاجوا للنقود فى الصباح التالى ٠ فنظر وانج لانج الى أو ـ لان فى ريبة عما يجب أن يفعل ،

واجابته او ـ لان بثبات :

ـ سنشحذ أنا والاولاد وكذلك الاب الكبير ، فسيحرك رأسه الأشيب قلـــوب من لا يعطونى ،

ونادت على الولدين وقالت لهما :

ـ كل واحد منكما يأخذ طاسته ويمسكهـــا هكذا ويصيح هكذا ، وأخـــذت طاستها الفارغة فى يدها وقدمتها بشكل بارز ، **ونادت فى بؤس :**

ـ قلب يا سيدى الطبيب ·· قلب يا سيدتى الطيبة ! يا صاحب القلب الرحيم ·· افعـــل الخير لحياتك فى السماء ! العملة النحاسيه التى تلقيهـــا ستطعم طفلا يموت !

ونظر اليهـــا الولدان فى اندهاش كذلك وانج لانج ·· أين تعلمت أن تصيح هكذا ؟!

كم من الأشياء التى لا يعلمها عن هذه المرأة ! **واجابت نظرته قائلة :**

ـ صحت هكذا ، عندما كنت طفلة ، وكانوا يطعمونى • كانت سنة مثل هذه عندما باعونى كعبدة •

أما بالنسبة لوانج لانج ، فذهب فى الشوارع يسأل هنا وهناك حتى وجد مكانا لتأجير الريكشا (*)، فذهب اليه واستأجر واحدة مقابل قطعة فضة فى اليوم على أن تدفع فى المساء ، وأخذ يجرها فى الشوارع • كان وهو يجر هذه العربة الخشبية على عجلتيها الاثنتين من خلفه مثل ثور صعب المراس ربطوه لأول مرة بالمحراث وبالكاديسير ، ولكنه يجب أن يركض اذا أراد أن يكسب عيشه ، وكثير من الرجال يركضون مثله ، وهم يجرون أشخاصا فى هذه العربات الصغيرة فى كل مكان عبر شوارع المدينة •

(*) عربة صغيرة بعجلتين يركبها الراكب ويجرها شخص راكضا بها •

وفي المساء عندما أحصى كل نقوده في يده وجد أنه حصل على بنس واحد فوق تكلفه تأجير الريكشا ، وعاد الى كوخه في مرارة كبيرة ، قائلا لنفسه لقــد حصلت على بنس نحاسي واحد فقط ليوم كامل في عمل أقسى من عمل الحقل •

كانوا كالأجانب في هذه المدينـــة الجنوبيــة ، وذات مرة سمع شابا يلقى بخطبة الى الجمهور قائلا :

ـ يجب على الصين أن تقــوم بثورة وتهـاجم الأجانب المكروهين !

فخاف وانج لانج ، وانسل بعيدا شاعرا أنه هو الأجنبى الذى تكلم هذا الشاب ضده بمثـل هــذا الغضب !

وفي أحد الايام علم بوجود أجانب آخرين مـن نوع آخر في هذه المدينة ذلك عندما كان يبحث عن ركاب في شارع متــاجر الحرير • فالتقى بشخص منهــم فجأة ، مخلوق لم ير مثله من قبل ، وليس لديه

أي فكرة اذا كان ذكرا أم أنثى ، لكنه كان شخصا طويلا فى رداء أسود ويلف حول رقبته جلد نوع من الحيوان · وأشار الشخص بحدة أثناء مروره ليدعه يركب ، وقال له انه يريد الذهاب الى شارع الجسور · فبدأ يركض وهو لا يكاد يعرف ماذا يفعل ، ونادى رجلا آخر يجر عربة مثله :

ـ انظر الى ذلك الراكب ·· ما هذا الذى أجره ؟

فصاح الرجل مجيبا :

ـ أجنبية ·· انثى من أمريكا ·· انك غنى !

لكن وانج لانج ركض بأقصى سرعة ممكنة خوفا من هذا المخلوق الغريب الذى خلفة ، وعندما وصل الى شارع الجسور كان قد انهكت قواه وتصبب عرقا ، وخطت هذه الأنثى هابطة ، وقالت :

ـ لا داعى أن تركض بهذه الشدة !

وتركته واضعة في يده قطعتين من الفضة وهو ضعف السعر المعتاد ·· وعندما عاد الى الكوخ فى المساء أخبر أو ـ لان ، فقالت له :

ــ لقد رأيتهم . انني أتسول منهم دائما لانهم الوحيدين الذين يلقون بالفضة في طاستي لا بالنحاس .

ولم يشعر وانج لانج ولا زوجته أن الأجنبي كان يلقي بالفضة بسبب أية رحمة في القلب ، ولكن لأنه لايعرف أن النحاس أفضل من الفضة عند القائه للشحاذين ، ومع ذلك تعلم وانج لانج من هذه التجربة بأنه ينتمي لجنسه الذي له شعر أسود وعيون سوداء .

وبدأ وانج لانج يخرج كل صباح بعد شروق النهار بقليل مع عائلته ويشكلون بطاساتهم مجموعة صغيرة في موكب طويل من الناس ، في ملابس رقيقة لمواجهة هواء النهر الرطب ويسيرون محنيين ضد ه الصباح البارد نحو المطابخ الشعبية حيث يست الشخص أن يشتري طاسة أرز مقابل بنس وا- وبالرغم من أن وانج لانج يركض بعربة الريكشته وبالرغم في أن أو ــ لان تتسول ، الا انهم لم يم

أن يكسبوا ما يكفى لشراء الأرز ليقوموا بطهيه فى كوخهم ، **وقال وانج لانج لنفسه :**

- يجب أن نعود الى الأرض .

وبين ثروات هذه المدينة عاش وانج لانج ، ولكنه كان يعيش فى الفقر الذى كان القاعدة التى ترسو عليها المدينة كلهـا ، بالرغم من تدفق الطعام فى الأسواق ، وبالرغم من شوارع متاجر الحرير التى ترفرف فوقها رايات حريرية سوداء وحمراء وبرتقالية للاعلان عن بضائعها ، وبالرغم من الأغنياء الذين يلبسون الملابس الحريرية ، وأيديهم التى كالزهور ـومتها وكسلها .. ففى هذا الجزء من المدينة الذى ـش فيه وانج لانج لايوجد طعام كاف لسد فم الجوع ـوس ، ولا توجد ملابس كافية لتغطية العظام . ـن فى أكواخهم الصغيرة يحيكون الملابس القديمة ـمها لعمل ملابس للاطفال الذين ينجبونهم بشكل ضعفـ ويسرقون حفنات من الأرز من أسواق الغلال ، المساـ ن العشب من على جوانب التلال .. وفى وقت

المحصول يتتبعون الفلاحين مثـــل الطير ، وعيونهم سريعة ترى كل حبة تسقط ، ويموت الأطفال فى هذه الأكواخ جميعهـــا يولدون ويموتون حتى أن الأم والأب يعرفون بالكاد كم من الأطفال يعيشون •

ويسير هؤلاء الرجال والنســـاء والأطفـال فى الأسواق وبين متاجر الملابس ، ويتجولون حول الريف القريب من المدينة ، ويعمل الرجال هنا وهناك من أجـل بنســات قليلة ، وتسرق النســاء ، ويتســول الأطفال •• وكان وانج لانج وزوجته وأولادهما من بينهم •

قال وانج لانج فى سريرته سنعود ، طالما الأرض موجودة ! وقال بخشونة لزوجته :

– اذا كان عنـــدى أى شىء أبيعه ، كنت بعته واعود الى الأرض • ولولا الرجل الكبير لسرنا ، لكن كيف له وللطفلة الصغيرة أن يمشيا مائة ميل ؟

كانت أو ـ لان تغسل طاسات الأرز بقليل من الماء ، ورفعت بصرها اليه من الأرض حيث تجلس ، وأجابت ببطء :

ـ لا يوجد شيء للبيع سوى البنت ؟!

ـ كلا ٠٠ لن أبيع الطفلة !

فأجابت ببطء :

ـ لقد تم بيعى ، واشترانى منزل كبير ، حتى يستطيع والدى الرجوع الى بيتهما ٠

ـ وهل تبيعين الطفلة ؟!

ـ ان كان على أنا ، فقتلها أهون من بيعها ٠٠ لقد كنت عبدة حتى للعبيد الآخرين ! ولكننى أبيعها من أجلك ٠٠ لتعيدك الى الأرض ٠٠

ـ مطلقا ٠٠ حتى لو قضيت حياتى فى هذا المكان !

ولكن عندما خرج ثانية اغرته الفكرة ضد ارادته

ونظر الى البنت الصغيرة ، ازدادت مرحا كعادتها وابتسمت ، وفكر فى داخله :

ـ كيف أفعـــل ذلك وهى تـرقد في ذراعي وتبتسم هكذا ؟!

ثم فكر ثانية فى ارضه وصرخ :

ـ لن أراها ثانية ؟ ورغم كل هذا العمل وهذا التسول لايوجد ما يكفي أكثر من طعام اليوم ؟

فاجاب عندئذ صوت عميق فى الظلام :

ـ لست وحدك ٠٠ يوجد مئات المئات مثلك فى المدينة !

وظهر رجل يدخن غليونا ، انه أب لأسرة بالكوخ المجـاور ٠

فساله وانج لانج بمرارة :

ـ حسن ، وهل سيستمر هذا الى الأبد ؟

فقال الرجل بعد أن جلس على الأرض :

ـ كلا ، ليس الى الأبد ·· هناك طرق عندما يكون الأغنياء أغنياء جدا ، وهناك طرق عندما يكون الفقراء فقراء جدا · لقد بعنا بنتين فى الشتاء الماضى ، وسنبيع هذا الشتاء ايضا بنتا أخرى ، فالبيع أفضل من القتل رغم وجود من يفضل قتلهن قبل أن يتنفسن ·· هذه احدى الطرق عندما يكون الفقراء فقراء جدا· وهناك طريقة عندما يكون الأغنياء أغنياء جدا ، واذا لم أكن مخطئا فهى قادمة قريبا ·

واشار بغليونه للجدار الذى خلفه ثم اردف قائلا :

ـ هل شاهدت ما بداخل هذا الجدار ؟ لن تصدق اذا أخبرتك كيف تأتى النقود وتدخل هذا المنزل ·· هناك طريقة عندما تكون الناس أغنياء جدا ·· حسن ·· عد لعملك !

وذهب فى جوف الليل ·

وجاء الربيع مرة أخرى ·· وأصبح من الممكن لهؤلاء الذين تسولوا أن يذهبوا الى التلال واراضى

المقابر ، ليلتقطوا النباتات الخضراء الصغيرة • وتخرج كل يوم من الأكواخ زرافات من النســاء والأطفـال للبحث في الريف والطـرقات عـن الطعــام الذى يستطيعون الحصول عليه بدون تسول وبدون مال • وتذهب أو — لان كل يوم مع هذا الجمهور ، مصطحبة ولديها الاثنين •

أما الرجال فعليهم أن يعملوا ، ولقـد عمـل وانج لانــج وكانت الأيـام الدافئـة الطـويلة ، وشروق الشمس مع الأمطار الفجائية قد ملأت كل شخص بالرغبات والهواجس •• ومع قدوم الربيع يزداد الكلام •• فتكلم أحد الشبان بصوت عال وقام بتوزيع المنشورات هنـا وهنـاك بين الجمـوع التى تتجمع حول أى شىء جديد أو غريب فى الشارع • كانت المنشورات تحمل صورة للدم والموت ، وكان الرجل الميت مثل وانج لانج نفســه ، مواطن عادى أصفر ، نحيف ، له شعر أسود ، وعين سوداء ،ويرتدى ملابس زرقاء ممزقة • ويقف عند جثة الميت شخص ممتلىء ضخم ، ويقطع من جثة الميت بالسكين الطويلة

التى يمسك بها . كان منظرا مفزعا ونظـــر اليـــه وانج لانج بصعوبة .

وقام مدرس شاب وصاح :

ــ الرجل الميت هو أنت ، والرجل الممتلىء الذى يقطع فيك هو الغنى ، وهو يفعل ذلك حتى بعد موتك. أنت فقير والسبب أن الغنى يستولى على كل شىء .

كان وانج لانج يعتقد دائما انه فقير لأن السماء لم ترسـل المطـر فى موعده المناسـب من السنة ، وكان لا يعتبر نفسه فقيرا عندما يأتى المطر تسـطع الشمس حتى تنبت الحبة ، ويحمل القمح سنابله . لذلك أخذ ينصت باهتمام ليسمع ما على الأغنياء أن يفعلوا ازاء ذلك . وفى النهاية بعدما تكلم الشـاب كثيرا ، ولم يقل شيئا عن ذلك ، تجاسر وانج لانـج وسأل :

ــ سيدى ، الا توجد طريقة يمكن أن يجلب بها الأغنياء المطر حتى أستطيع العمل فى الأرض ؟

وعند ذلك التفت الشاب اليه باحتقار وأجاب :

ـ يالك من غبى ، يامن لازلت تحتفظ بضفيرة شعرك من خلفك ! لا أحد يستطيع ان يجعل السماء تمطر اذا لم تكن ستمطر ، ولكن مادخل ذلك بنا ؟ اذا شاركنا الأغنياء فيما لديهم فلا يهم أحد سقوط المطر من عدمه ، وسيكون لدينا جميعا المال والطعام .

وهتفت هذه الجماهير هتافات كثيرة ، ولكن وانج لانج تركهم وولى . ان المال والطعام يؤكل ويتلاشى ، لكن اذا لم تسطع الشمس أو ينزل المطر فى وقته لعاد الجوع ثانية .

ومع ذلك أخذ أوراق المنشورات التى أعطاها له الشاب ، لأنه تذكر أن أو ـ لان ليس لديها أوراق كافية لتفرشها فى أحذيتهم ، **وأعطاها لها عندما رجع لكوخه قائلا :**

ـ اليك بشىء لتفرشى به الأحذية .

ثم ذهب الى عمله ، ولكن الكثيرين من سكان

الأكواخ سمعوا ما قاله الشاب بشغف ، وعرفوا أن خلف ذلك الجدار يعيش رجل غنى ، وليس بينهم وبين ثرواته الا هذا الجدار المشيد من الطوب ، والذى يمكن أن يسقط بضربات قليلة من عمود متين مثـــل الذى يحملون عليه أثقالهم فوق أكتافهم كل يوم .

ورأى وانج لانج عندئذ شيئا جديدا فى هذه المدينة . لقد رأى فرقة صغيرة من الجنـود المسلحين يقبضون على شخص ، وعندما اعترض لوح الجنود فى وجهه بالسكاكين ، وأثناء مراقبته تم القبض على آخرين ، ولاحظ أن جميعهم من عامة الناس الذين يعملون بأيديهم ، وواحد منهم كان يعيش فى كوخ قريب منه مقابل الجدار . فدب خوف جديد داخله ، هل يسحبونه الى ميدان القتال ؟ ويترك أسرته لتموت من الجوع ! وهو إيضا قد يموت فى ميدان القتال .. ولا يستطيع أن يرى أرضه ثانية ، **فقال لزوجته :**

ـ حاليا ، أرى ما يغرينى ببيع البنت الصغيرة ، ونذهب للشـمال عائدين الى الأرض ! لكنها بعدما أنصتت وفكرت **قالت بطريقتها الثابتة :**

ـ انتظر بضعة أيام ، هناك كلام غريب يدور !

ولم يعد يخرج فى النهار ، وبدأ ، مقابل نصف ما كان يكسبه من قبل ، يجر طول الليل عربة محملة بالصناديق ومعه مجموعة رجال ، كل يجر عربته . وكانت الصناديق معبأة بالحرائر والأقطان والتبغ ، كما يوجد أيضا عبوات كبيرة من الزيت والنبيذ . وأمسى يجر عبر الشوارع المظلمة طول الليل ويتصبب جسـمه عرقا ، وتنزلق أقدامه الحافية عـلى الأحجار المبتلة ، لكنه كان ينام أثناء النهار فى أمان فى ركن الكوخ خلف كومة قش أثناء قيـام الجنود بالبحث والتفتيش فى الشوارع .

كان الهمس يدور فى كل مكان بقدوم العدو عن قريب . وكل من يملك شيئا كان خائفـا .. لكن وانج لانج لم يكن كذلك ، ولا أى أحـد من الذين يعيشون فى الأكواخ كان يخـاف من ذلك ، فهـم لايعرفون من هو هذا العدو ، ولا هم يملكون ما يخافون عليـه !

وعندئذ أغلقت المطابخ الشعبية أبوابها ، وكأنهم لم يكتفوا بما حدث لهم من كوارث • وأصبح لايوجد طعام ولا عمل ، كما أن المارة فى الشوارع ليسوا ممن يمكن التسول منهم • فأخذ وانج لانج طفلته بين ذراعيه ، وجلس معها فى الكوخ ، **ينظر اليها ويقول برقة :**

ـ ايتها البلهاء الصغيرة ! هل تحبين أن تذهبى الى منزل كبير يوجد فيه الطعام والشراب وتحصلين فيه على ملبس كامل لجسمك ؟!

ابتسمت الطفلة ، غير فاهمة أى شىء مما قاله ، ووضعت يدها الصغيرة لتتلمس فى اندهاش عيونه المضطربة • عندئذ ضـــم وانج لانج الطفلة اليه ، **وقال لها برقة مرة تلو الأخرى :**

ـ أوه ، أيتها البلهاء الصغيرة •• أوه ، أيتها البلهاء الصغيرة المسكينة ••

ولكنه كان يفكر بصوت عال :

ـ لا يوجد طريق آخـــر ·· لا يوجد طريق آخـــر ·· !

عندئذ سمع فجأة صوتا يشبه تصدع السماء ، فسقط كل واحد منهم الى الأرض ، مخفيا وجهــه ، وصرخ الصـــبيان من الخوف · لكن أو ـ لان رفعت راسها بعدما عاد السكون وقالت :

ـ والآن ما قد سمعت عنه قد حدث ! لقد حطم العدو أبواب المدينة !

وقبل أن يســتطيع احد اجابتها غطى الهتـــاف المدينة ·· هتاف مرتفع لأصوات بشرية ، ضعيف فى البداية ، مثل ريح العاصفة المقترب ، ثم أخذ يتصاعد الى أعلى وأعلى حتى ملأ الشوارع ، ثم وصل لسمعهم صوت باب كبير يفتح عنوة ، وفجأة دفع رجل رأســه فى فتحة الكوخ ·· انه الرجل الذى تكلم ذات مرة مع وانج لانج وهو يدخن غليونه ، وصرخ فيهم :

ـ هل لازلتم تجلسون هنا ؟ لقد أتت الساعة ·· بوابات الرجل الغنى مفتوحة لنا ! ···

وفى الحال انسلت أو ـ لان من تحت ذراع الرجل واختفت وهو لايزال يتكلم ٠

نهض وانج لانج فى تراخ ٠٠ وأمام البوابات الحديدية الكبيرة لمنزل الرجل الغنى تقدم جمهور هاتف من عامة الشعب ، وكانوا مصطفين سويا باحكام حتى أنهم كانوا يتحركون ككتلة واحدة ٠٠ وهكذا جرفوه عبر البوابات الكبيرة ٠٠ وكانت الضوضاء تشبه الزئير المتواصل لوحوش غاضبة ٠

وجرفوه من ساحة الى أخرى ٠ وكان الجمهور خبيرا بمنازل الأغنياء فلقد انطلقوا مارين بالساحات الأمامية حيث يعيش الخدم والعبيد ، وحيث المطابخ تعمل دون توقف ، ثم يتوجهون الى الساحات الداخلية ، حيث السادة والسيدات بسررهم الناعمة وصناديق ملابسهم وطنافسهم وأثاثاتهم المزخرفة ٠٠ واستولى الجمهور على كل هذه الكنوز ، لكن وانج لانج لم يأخذ شيئا فى هذا الارتباك ٠٠ وهو الذى لم يأخذ طوال حياته ما يخص الآخرين ،

ولا يمكنه أن يفعل ذلك ، واخذ يقاوم هنا وهناك حتى انفلت أخيرا الى طرف الزحام ·

فوجد نفسه فى الساحة البعيدة حيث تعيش سيدات الأغنياء ، وكانت البوابة الخلفية مفتـوحة ، وهى التى يحتفظ بها الأغنياء ليستخدمونها فى هروبهم فى مثـل هذه الأوقات ، ولذلك كانت تسـمى بوابة السلام ·· لاشك أنهم هربوا جميعهم من هذه البوابة فى نفس اليوم ·· لكن أحدهم فشـل فى الهرب ·· ربما بسبب حجمه ·· أو ربما بسبب ثقل نومه ، وقابله فجأة وانج لانج وجها لوجه فى حجرة داخلية خاوية ·· كان رجلا ضخما بدينـا ، وكانت عيناه تبدوان ، فى وجهه المكتنز ، صغيرتين كعينى خنزير ·

وعندما شاهد وانج لانج أصيب برعشة من رأسه الى أخمص قدميـه وصرخ مولولا وكأن لحمه يقطع بسكين :

ــ انقذ حياة ! ·· انقذ حياة ! ·· لا تقتلنى ! ·· لدى نقود لك ·· نقود كثيرة !

كانت كلمة « النقود » هى التى دخلت الى عقل وانج لانج ، وجعلته صافيا .. نقود ! أجل ، انه يحتاج ذلك ! فصرخ فجأة فى صوت أجش :

ـ اعطنى النقود اذن !

فقدم الرجل البدين يده مملوءة بالذهب وفرد وانج لانج طرف ثوبه ليتلقاه ، فصاح :

ـ اعطنى أكثر !

فامتدت يد الرجل ثانية مملوءة بالذهب وهو يصيح :

ـ لم يبق شىء الآن ، ولا أملك الا حياتى البائسة ، وجرت الدموع مثل الزيت على وجهه البدين .

وفجأة كرهه وانج لانج وهو يراه أمامه يرتعش ويصيح ، كما لم يكره شيئا فى حياته وصرخ :

ـ أغرب عن وجهى والا سأقتلك كما أقتل دودة سمينة !

وانج لانج رقيق القلب ، الذى لم يقدر على أن يذبح ثوره صرخ بهذا ! .. وتركه الرجل وفر راكضا . وخرج وانج لانج من بوابة السلام المفتوحة ، وضم اليه الذهب الذى كان لايزال يحتفظ بدفء جسد الرجل السمين . **وأخذ يصيح فى داخله مرات ومرات :**

ــ سنعود الى الأرض .. غدا ، سنعود الى الأرض !!

الفصل السادس

وقبل مرور أيام قليلة ، بدا لوانج لانج وكأنه لم يبتعد عن أرضه مطلقا ، وفى الحقيقة فهو لم يبتعد عنها بقلبه .. واشترى من الجنــوب بذورا جيــدة بثلاث قطع من الذهب ، كما اشترى ، قبل أن يصل لأرضه ، ثورا بخمس قطع ذهبية .

ووجدوا عند وصولهم للمنزل الباب مخلوعا ، والسطح منزوعا ، ولم يتبق الا أعمدة السطح عارية والجدران الترابية . وجاء جاره شينج يدب من منزله ليرى وانج لانج وقال :

ـ عاشت عصابة من اللصوص فى منزلك الشتاء بطوله نهبو سكان القرية والبلدة ، ويقال ان عمك يعرف عنهم أكثر مما يجب لرجل شريف لكن من يعرف الحقيقة هذه الأيام ؟ لا أجرو أن أتهم اى شخص ٠

لقد أصبح شينج لاشيء سوى شبح التصق جلده بعظامه بشكل شديد ، كما خف شعرة وشاب ، رغم أنه لم يصل الى الخامسة والأربعين من عمره بعد ٠ ونظر وانج لانج اليه لفترة ، **ثم قال فجأة في شفقة :**

ـ لقد عشت أسوأ منا ٠٠ ماذا أكلت ؟

فقال الرجل فى همس :

ـ قل ماذا لم آكله ؟ ٠٠ الزبالة فى الشوارع مثل الكلب ، وتسولنا فى البلدة وأكلنا الكلاب الميتة ، وعملت امرأتي ذات مرة قبل أن تموت قليلا من حساء السمك ٠٠ لم اجرؤ أن اسالها كيف اتت به ؟ ٠٠ وبعدما ماتت أعطيت البنت لجندى ٠٠ لم أستطع أن أراها تموت من الجوع أيضا

وسكت ثم قال بعد برهة :

ـ لو كان لدى قليل من البذور لكنت بذرتها مرة أخرى ، لكن لم تكن لدى بذور أو أى شىء آخر

فصرخ وانج لانج بخشونة :

ـ تعال هنا !

وطلب من الرجل أن يمسك برداثه الممزق وسكب فيه بعض البذور التى اشتراها من الجنوب **وقال :**

ـ غدا سوف آتى وأحرث لك أرضك مع ثورى الطيب !

فبكى شينج فجأة ، **وصاح وانج لانج كما لو كان غاضبا :**

ـ هل تعتقد أنى نسيت حفنة الحبوب التى أعطيتها لى ؟!

لكن لم يستطع شينج الاجابة ، وذهب وهو يبكى ، ويبكى بلا توقف ...

كانت فرحة لوانج لانج كبيرة لأنه لم يجد عمه فى القرية . أين كان اذن ؟ لا أحد يدرى . قال البعض انه رحـــل لى المدينة ، وقال البعض بأنه يعيش مع زوجته وابنه فى مقاطعة أخرى بعيدة .

بدأ وانج لانج العمل فى الأرض فورا . وكان يجب ان يأخـذ رغيف خبزه وثـوما الى الحقول ، ويقف هناك يأكله ويفكر :

ـ سأضع الفول هنا ، وشتلات الأرز الصغيرة هنـــا ..

واذا شعر بالتعب كان يرقد على الأرض وينام فيتخلل لحمه دفء الأرض الطيبة ..

ولم تكن أو ـ لان بلا فائدة فى المنزل ، بـــل قامت بربط الحصير بشـــدة الى أعمدة السـطح ، وأخذت التراب من الحقـــول وخلطته بالمـاء ورممت جدران المنزل ، وأعادت بناء الفرن ، وردمت الحفرة التى كونتها الأمطار فى الأرضـية .

وفكر وانج لانج فى الالهين الصغيرين المقامين فى المعبد ، فذهب وتفحصهما .. كانا فى حالة مزرية ، فتعرى جسداهما من الصلصــال الذى التصــق بملابسهما الورقية الممزقة . اذ لم يهتم أحد بهما فى تلك السنة المروعة . ونظر وانج لانج اليهما بضراوة ، **وقال بصوت مرتفع كمـا يكلم الشخص طفــلا بعد العقاب :**

ـ وهكذا حال الآلهة التى تاتى بالضر للانسان!

ولكن عندما اصــبح المنزل مرتبا ثانية ، ونما الأرز الصــغير ، اشرأبت رؤوس الفول من تربتــه **همس وانج لانج كارها :**

ـ يجب أن أحرق قليلا من البخور أمام هذين الالهين ، على كل حــال فان لهما أثرا ســـحريا على الأرض .

وفى احدى الليالى بينما كان وانج لانج راقدا مع زوجته تحسس عليهــا كتلة جــامدة فى حجم قبضة الانسان المغلقة . **فقال لها :**

ـ ما هذا الشيء الذى تضعينه على جسدك ؟

ووضع يده يتحسسه ثانية فوجـد لفافة من القماش بهـا شيء جامد ولكنه تحرك مع لمسته .

فأخذت اللفافة من عنقها وأعطتها له قائلة :

ـ حسن ، أنظر اليه اذن اذا أردت ..

فمزق لفافة القماش فسقطت على يده فجـأة مجموعة من الجواهر لم يحلم مطلقا أن تكون متجمعة سويا .. جواهر حمراء ، وجواهر ذهبية كالقمح ، وخضراء كالأوراق الصغيرة فى الربيـع ، وصـافية كالماء .. لم يكن وانج لانج يعرف إسمـاءها .. ولكنه عرف وهو قابض عليهـا فى يده السمراء الجامدة أنه يقبض على ثروة طائلة ، فتوقف بـلا كلام ونظـر هو والمرأة سويا الى ما فى قبضته ، **ثم همس اليها فى النهاية :**

ـ من أين .. من أين .. ؟!

فردت هامسة برقة مشابهة :

ـ من منزل الرجل الغنى ؛ شاهدت قالب طوب مفكوكا فى الجدار ، فذهبت اليه بهدوء حتى لا يرانى أحد ..

فهمس ثانية ، همسة مملوءة بالاعجاب :

ـ وكيف عرفت ؟!

فاجابت :

ـ هل تظن أنني لم أعش فى منزل أغنيـاء ؟
الأغنياء دائما خائفون ٠ رأيت ذات مرة فى سنة سيئة الطالع لصوصا يندفعون عبر بوابات المنزل الكبير ، فركض العبيد ، والسيدة الجليلة نفسها هنا وهناك ، فكأن لكل شخص كنز قد خبأه فى مكان سرى لذلك فأنا اعرف معنى قالب الطوب المفكوك ٠

وصـمتا ثانيـة وهمـا ينظران الى الجواهر ..
ثم تراجع وانج لانج بعد فترة طويلة وقال بحزم :

ـ لانستطيع أن نحتفظ بكنز كهذا ، يجب أن يباع ويوضـع فى أمان ٠٠ فى الأرض ! ٠٠ فليس

هناك مكان آخر أكثر أمنـــا ·· واذا عرف بهذا أى شخص ، فقد نموت فى اليوم التـــالى وقد يسرق اللصوص هذه الجواهر ·· يجب أن توضـــع فى الأرض اليوم ، والا فلن أنام الليلة !

ـ هل ستبيعها جميعا ؟!

ـ لم لا ؟ ولماذا نمتلك جواهر مثـل هذه فى منزل ترابى ؟

فقالت بحزن عاجز ، وكأنها لاتتوقع شيئا :

ـ أتمنى أن احتفظ باثنتين لنفسى !

وحرك ذلك شعوره كما تحركه رغبة طفل مـن أطفاله فى لعبة أو قطعة حلوى · **وصرخ فى اندهاش :**

ـ حسن ، اذن !

وأردفت قائلة بتواضع :

ـ لو أمكننى أن آخـــذ اثنتين ، فقط اثنتين صــغيرتين ·· اللؤلؤتين البيضـــاوتين الصغيرتين ، حتى ···

فكرر باندهاش :

ـ لؤلؤ !

ـ ساحتفظ بهما ـ لن أرتديهما ، احتفظ بهما فقط !

فنظر وانج لانج للحظة فى قلب هذه المخلوقة الغبية المخلصة ، التى استغلت طوال حياتهـا دون مقابل ، والتى رأت فى المنزل الكبير آخرين من الأثرياء يتحلون بالجواهر ولم تلمسها بيدها مطلقا حتى ولو لمرة واحدة . وازدفت قائلة ، وكأنها تفكر :

ـ حتى يمكننى أن أمسك بهما أحيانا فى يدى !

لقد تحـرك شعوره من شىء لم يفهمه ، ففض الجواهر وناولها لها فى صمت . وبحثت بين الألوان الساطعة ، ويدها الداكنة المتحجرة تقلب فى الأحجار برقة مرهفـة حتى عثرت على اللؤلؤتين البيضـاوين الناعمتين ، فأخذتهما ، ثم ربطت الباقى ثانيـة ، وأعادتهم اليه ، وأخذت اللؤلؤتين ومزقت قطعة مـن

طرف ردائها ، ثم لفتهما فيها ووضعتها فى ردائهـا وارتاحت !

أما بالنسبة للجواهر الأخــرى ، فلقد قرر أن يذهب الى المنزل الكبير ، ويرى اذا كان لديهم أرض أخرى يشتريها .

وهكذا ذهب الى المنزل الكبير . لـم يكن هناك حارس يقف عند البوابة ، وعوضـا عن ذلك كـانت البوابة مغلقة . فطرق وانج لانج عليها ، ومع ذلك لم يأت أحد ، لكنه سمع فى النهاية خطوات بطيئـة تقترب منه ، ثم سـمع انسحاب المزلاج الحديدى وانفتحت البوابة فى صرير ، وجاء صوت هامس :

ـ من هنا ؟

فاجاب وانج لانج بصوت مرتفع رغم اندهاشه :

ـ أنه أنا ، وانج لانج .

ـ والآن ، من الملعون وانج لانج ؟

لقد تبين وانج لانج من نوعية اللعنة أنه السيد الكبير نفسه ، لانها هـذه لعنته التى يلعن بهـا الخدم

والعبيد كعادته ، فأجاب وانج لانج **بتواضع اكثر من قبل :**

ـ سيدى وكبيرى ، لقد أتيت فى عمل بسيط . لا لأزعج فخامتكم ولكن لأتكلم فى شغل بسيط مع الوكيل الذى يخدم فخامتكم .

فأجابه السيد الكبير دون ان يزيد من فتح البوابة :

ـ عليه اللعنة ، لقد تركنى هذا الكلب منذ شهور طويلة ، انه ليس هنا !

لم يعد يعرف وانج لانج ماذا يفعل بعد هذه الاجابة ، كان من المستحيل أن يتحدث بشكل مباشر مع السيد الكبير عن شراء الأرض من غير وسيط ، **فقال مترددا :**

ـ لقد جئت بخصوص بعض النقود .

فأغلق السيد الكبير البوابة فى الحال ، **وقال بصوت اعلى عما تحدث به من قبل**

ـ لا توجد نقود بالمنزل · هذا الوكيل اللص اخذ كل ما لدى ، ولايمكن دفع أية ديون ·

فصاح وانج لانج بسرعة :

ـ كلا ·· كلا ، لقد جئت لأدفع لا لأجمع دينا !

عندئذ صدرت صرخة من صوت لم يسمعه وانج لانج بعد ، **ودفعت امرأة بوجهها فجأة من البوابة ، وقالت :**

ـ ان هذا شيء لم أسمعه منذ فترة طويلة ! تعال ! وفتحت البوابة بما فيه الكفاية ليدخل ، ثم أغلقتها من خلفه ، بينما وقف هو مندهشا فى الساحة · ووقف السيد الكبير يسعل في رداء حريري رمادى قذر · لم يكن مغتسلا ولاحالقا ، وارتعشت يده وهو يمص شفتيه العجوزتين · لقد خاف وانج لانج طول حياته منَ الناس الأثرياء الذين يعيشون فى المنزل الكبير ، ومن المستحيل أن يكون السيد الكبير الذى سمع عنه الكثير هو هذا الشبح العجوز ·

وكانت المرأة ذات وجه حاد جامد يشبه الطائر في جماله ، عيناها سوداوان ، وشفتاها حمراوان ، وشعرها فاحم يلمع • ويمكن من كلامها ملاحظة أنها ليست من أسرة السيد ، بل عبدة •

ابتعد السيد الكبير ساعلا وهو يمشى ، أما وانج لانج الذى ترك وحيدا مع هذه المرأة ، فلم يعرف ماذا يقول أو ماذا يفعل ، وكان مندهشا للسكون الماثل فى كل مكان، ونظر الى الساحة التالية ، فرأى أكوام الزبالة والقاذورات والقش مبعثرة ، وفروع شجر وزهور ميتة وكأن أحدا لم يكنس هذا المكان منذ مدة طويلة •• ثم قالت السيدة بحدة كبيرة :

ـ والآن أيها الرأس الخشبى ! ، ما هو موضوعك ؟ اذا كان معك مال ، فدعنى أراه •

فاعترض وانج لانج بلطف :

ـ ولكنى لا أستطيع أن أتكلم مع امرأة •

فصاحت فيه فجأة :

ـ ولم لا ؟ الم تسمع يا أحمق بأنه لايوجد أحد هنا ؟

: فنظر اليها وانج لانج غير مصدق ، فصاحت المراة فيه ثانية :

ـ انا والسيد الكبير فقط .. وليس هناك شخص اخر !

وسال وانج لانج مندهشا :

ـ اين اذن بقية أهل البيت ؟

ـ حسن ، السيدة الكبيرة ماتت . ألم تسمع فى البلدة كيف اكتسح اللصوص المنزل ، وحملوا معهم ما أرادوه من عبيد وتحف ؟ لقد علقوا السيد الكبير من ابهاميه ، وضربوه . وربطوا السيدة الكبيرة، وفر الجميع ، ولكنني بقيت مختبئة ، وعندما خرجت كانوا قد ذهبوا ، ولقد ماتت السيدة الكبيرة على كرسيها من شدة الفزع . وكان جسدها نتنا من الافيون الذى تدخنه ، ولم تستطع التغلب على خوفها .

ـ والخدم والعبيد ؟!

فأجابت بلا اكتراث :

ـ أوه هؤلاء ، لقد غادروا من قبـــل ، لأنه لم يكن يوجد طعام ولا مال عند منتصف الشـــتاء الماضى .

ثم أردفت المرأة قائلة

ـ لم يحدث ذلك كله فجـأة .. فسقوط هذا المنزل كان يتحقق طوال حياة السيد الكبير وأبيه . فلم يعد السادة يهتمون بالأرض ، ويأخذون المال الذى يعطيه لهم الوكيل وينفقونه كالماء بلا حرص ، ثم باعوا الأرض قطعة قطعة .

ووقف وانج لانج وهو لايزال ينظر حوله . كان ذلك مستحيلا بالنسبة له ليصدق ما يراه وما يسمعه

ثم سأل :

ـ أين السادة الصغار ؟

فقالت المرأة بلا اكتراث :

ـ هنا وهناك ·· لقد تفرقوا ··

فسال وانج لانج ولايزال لايصدق :

ـ لكن في يد من أضع النقود ؟

فاجابت السيدة برقة :

ـ في يد السيد الكبير ·· من غيره ؟!

وفهم وانج لانج أن يد السـيد الكبير مفتوحة على يدها ، لذلك لم يتكلم معها أكثر من ذلك ·

ومضى وهو يقول :

ـ يوم آخر ·· يوم آخر ·· سـآتى فى يوم آخـر ··

وذهب الى البوابة ، ومنها الى الشارع وهو فى حيرة شديدة ، محتاجا للتفكير فيما سمعه ، ودخـل صالة الشاى ، وطلب شايا · وكلما فكر كلما بدا له مدى فظـاعة ما حدث للأسرة الغنيـة العظيمة التى

عاشت طول حياته هو وأبيه وجده قوية ومتألقة فى البلدة ‥ والآن سقطت وتشتتت وراحت سدى !

وظل يراقب حتى وجد صاحب المحل **فنادى عليه وقال :**

ـ تعال واشرب طاسة شاى على حسابى واسرد على أخبار البلدة حيث اننى كنت بعيدا عنهـــا طول الشتاء ٠

كان صاحب المحل مستعدا دائمـــا لمثل هـذه الأحاديث ، خصوصا لو احتسى شايه على حســاب شخص آخر ، ولذلك جلس عن طيب خاطر على مائدة وانج لانج ، **وبدأ يقول فى الحال :**

ـ حسن ، فيما عدا موت الناس من الجوع ، والتى ليست بالأخبار ، فأعظم الأخبار ، كانت سرقة المنزل الكبير ٠

انه بالضبط ما كان يأمل أن يسمعه وانج لانج، واستمر الرجل يخبره بالقصة بكل ترحاب ، ويصفه

له كيف بكى العبيد ، وكيف نقلوهم بالقوة ، ولذلك فلا يعيش بالمنزل الآن أحد على الاطلاق ، **وانهى كلامه قائلا** ٠

ـ لا أحد ، ماعدا السيد الكبير الذى يقع الآن تحت السيطرة الكاملة لعبدة تدعى كوكو ، والتى كانت محظية السيد الكبير لسنين عديدة بسبب براعتها ، بينما كان غيرها يأتى ويذهب ٠

ـ وهل هذه السيدة صاحبة الأمر إذن ؟

ـ انها تستطيع أن تفعل أى شىء فى الوقت الحالى ، وتقبض بيدها على كل شىء ، وتبتلع كل ما يمكن بلعه ، **وتساءل وانج لانج مرتعشا من اللهفة :**

ـ والأرض ؟!

فكرر الرجل بغباء :

ـ الأرض ؟

فالارض بالنسبة لصاحب المحل هذا لاتعنى أى شىء على الاطلاق ٠

ـ هل هى معروضة للبيع ؟

ـ أوه ، الأرض ! لقد سمعت أنها للبيع ، فيما عدا القطعة التي دفنت فيها الأسرة منذ سنوات عديدة .

فنهض وانج لانج وذهب . وأتى الى البوابات الكبيرة ، وجاءت المرأة لتفتح له ، فقال لها وانج لانج مباشرة :

ـ هل تبيعين الارض مقابل ذهب أم مقابل فضة أم مقابل جواهر !

فدمعت عيناها وهي تقول :

ـ سأبيعها مقابل جواهر !

وأصبح لوانج لانج الآن أرضا أكبر من أن يستطيع رجل مع ثور واحد أن يحرثها ويجنيها ، لذلك بنى حجرة أخرى بمنزله ، واشترى حمارا ، وقال لجاره شينج :

ـ بع لى قطعة الأرض التى عندك ، واترك منزلك وتعال الى منزلى وساعدنى فى أرضى .

وفعل شينج ذلك ، وكان سعيدا به • وعندما جاء موعد الجنى ، لم يستطع هو وشينج وحدهما أن يجنياها • انها أصبحت كبيرة عليهما : لذلك استأجر وانج لانج رجلين آخرين من القرية •

ولم يكن لدى وانج لانج ، فى ذلك الوقت ، أى أسى من أى نوع ، فيما عدا أن ابنته الطفلة الكبرى لاتتكلم ، ولا تفعل الأشياء المناسبة لسنها • وكل ما كانت تفعله هو أن تبتسم ابتسامتها الطفولية ، وسواء أكان ذلك بسبب سنتها الاولى الصعبة من حياتها أو أيا ما كانت الأسباب ، فلقد مر الشهر تلو الآخر ، وانتظر وانج لانج الكلمات الأولى من شفتيها ، ولكن لم يصدر أى صوت •• فقط الابتسامة الحلوة الجوفاء ، وعندما ينظر اليها يقول لنفسه •

- أيتها البلهاء الصغيرة •• يا بلهائى الصغيرة المسكينة •• اذا كنت بعت هذه الطفلة المسكينة واكتشفوا أنها هكذا لكانوا قتلوها !

كان يعاملها بحنان ، ويأخذها معه الى الحقول أحيانا ، وتتبعه فى صمت ، وتبتسم له عندما يراقبها ٠

لقد عزم وانج لانج أن يبنى ثرواته بشكل قوى ومتين حتى لا يحتاج مطلقا خلال السنوات السيئة الى مغادرة أرضه ثانية ، ويمكنه العيش على انتـــاج السنوات الطيبة حتى يأتى محصول آخر ٠ لقـد عزم على ذلك ، وساعدته الآلهة ٠ فكانت المحاصيل أكثر مما يأكلونه لمدة سبع سنين ٠ وأخذ فى كل ســنة يسـتأجر عمالا أكثر لحقوله ، حتي أصبح لديه سـتة رجال ، وبنى منزلا جديدا خلف منزله القديم ، وإنتقل هو وعائلته اليه ، وعاش الرجال مع شينج على رأسهم فى المنزل القديم ٠

وفى غضون ذلك خبر وانج لانج جاره شينج تماما ، ووجده أمينا مخلصا ، لذلك وضعه مشرفا على الرجال ، وعلى الأرض ، وأجزل له العطاء ٠٠ قطعتي فضة فى الشهر ، بالاضافة الى الطعام ! ويبـــدو أن حفنة الفول والبذور التى انتقلت بين الرجلين قد جعلت

منهما أخوين ، فيما عدا أن وانج لانج الذى كان الأصغر أخذ مكان الأكبر ، وكذلك لم ينس شينج أبدا أنه يعمل ويعيش فى منزل يخص غيره ٠

ومع نهـاية السنة الخامسة ، كان وانج لانج يعمل قليلا فى الحقول بنفسه ، حيث كان عليه أن يقضى جل وقته فى بيع محصوله وتوجيه عماله ، وكان يعوقه كثيرا قلة علمه ومعرفتـــه بمعانى الحروف ، وكان يقول فى سريرته :

ـ انه لعار على الا أستطيع القراءة والكتابة ، سآخذ ابنى الأكبر من الحقول وأرسله الى المدرسـة بالبلدة ، وسيتعلم ، وعندما أذهب الى سـوق الغلال سيقرأ ويكتب لى ٠

ونادى ابنه ذلك اليوم ٠ وكان صـبيا طويلا ممشوق القوام ، بلغ الثانية عشرة من عمره حاليا ، وقال له :

ـ ستترك الحقول من اليوم ، لأننى أحتاج لفرد

فى الأسرة يقرأ الاتفاقيات ، ويوقع باسمى . وبذلك سوف لا أشعر بالخجل فى البلدة !

فبرقت عينا الصبى وقال :

ـ ابى ، لقد رغبت أن أفعل ذلك فى السنتين الأخيرتين ولكنى لم أجرؤ على الطلب .

وعندما سمع بذلك الولد الأصغر جاء صارخا وشاكيا :

ـ حسن ، سوف لا أعمل فى الحقول أنا أيضا . فليس من العدل أن يجلس أخى مرتاحا على كرسى ، ويتعلم ، بينما أنا ، الذى هو ابنك أيضا ، على أن أعمل مثل الأجير !

ولم يكن وانج لانج يتحمل ضوضاءه ، كان يعطيه أى شىء اذا صرخ عاليا ، **فقال له بسرعة :**

ـ حسن ، اذهبا كلاكما ، فاذا أخذت السماء واحدا منكما فسيكون هناك الآخر مستعدا بالمعرفة ، ليؤدى العمل من أجلى .

وتم اعداد كل شيء ، واجريت الترتيبات لارسال الولدين الى مدرسة صغيرة قرب بوابة المدينة صاحبهـا رجل عجوز ، كان قد تقدم فى الماضى البعيد لامتحانات الحكومة ولم يجتزها ٠ ووضع فى حجرة فى منزله المقاعد والمناضد، وكان يقوم بتعليم الأولاد، ويضربهم بمروحته الطويلة المطوية ، اذا كانوا كسالى ، أو اذا لم يستطيعوا أن يعيدوا عليه الصفحات التى تعلموهـــا من شروق الشمس الى غروبها ٠

كاد قلب وانج لانج يقفز فخرا ، حيث بدا له انه لا يوجد بين جميع الاولاد الموجودين فى تلك الحجرة ند لولديه فى الطول والقوة والوجه الأسمر المشرق ٠ ومنذ ذلك الوقت لم يناد المدرس العجوز على الولدين بالأكبر والأصغر بل سماهما اسمين ، ويعنى مقطع من اســم كل منهما « الشخص الذى ثروته من الأرض ! » ٠

وهكذا بنى وانج لانج ثروات منزله ٠٠ وعندمـا جاءت السنة السابعة امتلأ النهر العظيم الذى يجرى من جهة الشمال بالمياه الزائدة بسبب الامطار والجليد فى

الشمال الغربى وفاضت المياه على ضـــفتيه ، وحدث فيضان على المنطقة كلها. ولكن لم يكن وانج لانج خائفا، رغم أن نصف أرضه أصبحت بحيرة عمقها يصل الى كتفى الانسان وأكثر

وارتفعت المياه خلال نهاية الربيع وبداية الصيف . وفى النهاية كونت بحرا عظيما هادئا وتافها فى نفس الوقت ، يعكس السحب والقمر والاشجار التى تقف جذوعها فى الماء ، وبيت ترابى هنا ، وآخر هناك .. تركها اصحابها تسقط على مهل ،وتعود ثانية الى اصلها الماء والتراب . وكان هذا حال جميع البيوت التى لم تكن مثل هذا البيت الذى بناه وانج لانج على التل . فكانت التلال تقف ظاهرة كالجزر . وكان الناس يذهبون الى المدينة ويجيئون منها بواسطة الزوار وكثيرون منهم ماتوا من الجوع .

لم يكن وانج لانج خائفا ، لكنه كان غير ذى نفع عن أى وقت مضى فى حياته لأن معظم الأرض لا يمكن زرعها . وجمله تعطله وتخمته بالجيد من الطعام يزداد

ضجرا ، فالانسان لا يستطيع أن يجلس كل يوم ينظر الى بحيرة ماء تغطي حقوله ، فهو لا يستطيع أن يأكل أكثر من حاجته ، وهناك نهايـة للنوم ، والمنزل كان ساكنا حيثما تجول ، ووصل الرجل الكبير في العمـر عتيا وأصبح هزيلا جدا ، ولا مدعاة للحديث معه الا في الاستفسار منه ان كان يشعر بالدفء ولا يحتاج لأكل أو لشرب الشاى ، وكذلك البنت الكبرى ، التى لم تتكلم أبدا ، ولكنها تجلس بجانب جدها ساعة وراء ساعة ، تطوى ثم تطوى ثانية قطعة من القماش مبتسمة لها ٠٠ هذان الاثنان ـ الآب والابنة ـ ليس لديهما ما يقولانه له ٠

عندئذ أخـذ ينظر الى أو ـ لان زوجته ، كرجل ينظر الى المرأة التى عاشت قريبة منه ، ملاصقة له ، لدرجة أنه لا يوجد شيء لا يعرفه عنها . ولا جديد يأمله منها ، وكان يبدو لوانج لانج انه ينظر الى أو ـ لان مرة لأول مرة في حياته ٠٠ ورأى انها امرأة لا يستطيع أى رجل أن يصفها بانها جميلة ، بل مخلوقة باهتة وعادية ، تعمل في صمت دون أن تفكر في مظهرها ٠٠ كان

يحس بالخجل في داخله لكونه غير حنون على هذه المخلوقة التي تبعته باخلاص الكلب كل هذه السنين •• وتذكر عندما كان فقيرا ، ويعمل فى الحقول بنفسه ، وكانت هي تغادر فراشها بعدما تلد الطفل وتأتى لتساعده فى حصاد الحقول،**ولم يستطع أن يوقف الشعور الدافق في قلبه ، وقال :**

ــ لقد عملت ، وأصبحت غنيا ، وأود لزوجتى ألا تبدو كزوجة أجير عادي ، واقدامك هذه ••

وتوقف •• لقد بدت له أنها على بعضها قبيحة ، ولكن أقبح شيء أقدامها الكبيرة فى احذيتها القطنيــة الواسعة ، ونظر اليهما بغضب •• لذلك سحبتهما أبعد تحت المقعد ، **وقالت اخيرا فى همس :**

ــ لم تربطهما أمي ، فلقد باعونى صغيرة ، لكننى سـوف أربط قدمى البنت •• سـاربط قدمى البنت الصغرى •

كان خجلا من غضبه منها ، وكان غاضبا لأنها لم تغضب بدورها ، **فقال :**

ـ سأذهب الى صالة الشاى ، وارى اذا أمكن أن أسمع أى شىء جديد ، فلا يوجد فى منزلى سوى البلهاء ، والرجل العجوز ، والأطفال •

وزاد سخطه أثناء سيره الى المدينة ، لأنه تذكر فجأة أن كل هذه الأراضى الجديدة التى لديه لم يكن يقدر على شرائها فى عمره ، اذا لم تحصل أو ـ لان على حفنة المجوهرات من منزل الرجل الغنى ، واذا لم تعطها له عندما طلبها • فاحتد غضبه أكثر ، وقال :

ـ حسن ، انها لم تعرف ما كانت تفعله • لقد استولت عليها للمتعة الحسية ، كما يستولى طفل على حفنة من الحلوى الحمراء والخضراء وربما كانت ستخفيها الى الأبد إذا لم أكتشفها •

وأخذ يتجول فى شوارع البلدة ، لا يعرف ما يريد عمله • ولم يبد له أى شىء طيبا كما كان من قبل ، ومر على خيمة راوى القصص فجلس برهة فى نهاية مقعد مزدحم ، وأخذ يستمع القصة الراوى عن قديم

الزمان عندما كان رجال الحرب شجعانا وحـــاذقين ، لكنه جلس متململا ولم يستطع الاستماع لها ونهض ثانية وخرج ٠

وكانت هناك صالة شاى كبيرة قد افتتحت أخيرا بالبلدة ، ومر عليها وانج لانج من قبل ، وأصابه الفزع أزاء فكرة انفاق النقود على ألعاب الحــظ والنســـاء الفاسدات ٠٠ ولكنه الآن بدافع من ضجره الناتج عن بطالته ، ورغبته فى نسيان عدم انصافه لزوجته اتجه نحو هذا المكان ٠ كما كان مدفوعا برغبته فى مشاهدة أو سماع أى شىء جديد ٠ وهكذا خـــطا مجتازا باب الصالة المتالقة ٠

وفى البداية لم يتكلم على الاطلاق ٠ وطلب الشاى بهدوء واحتساه ، ونظر حولـــه فى اندهاش ٠ كانت الصالة عبارة عن قاعة كبيرة ٠ وسقفها كان مطليـــا بالذهب ، وعلى الجدران صور نساء مصبوغة بالألوان على حرير أبيض فأخذ يسترق النظـــر الى هؤلاء النسوة ، وبدا له أنهن نساء أحلام ٠ لانه لم ير مثلهن

على الأرض · وفى أول يوم نظر اليهن واحتسى الشاى بسرعة وخرج ·

ولكن يوما بعد يوم أخذ يذهب الى صالة الشاى الجديدة ، أثناء حدوث الفيضانات · كان يجلس وحيدا ، ويشرب الشاى ، وينظر الى صور النساء الجميلات وكل يوم يجلس وقتا أطـول ، فليس لديه ما يعمله لا فى أرضه ولا فى منزله··وفى احدى الامسيات عندما كان يجلس على مائدة قرب نهاية الصالة يحتسى شايه ، تطلع فرأى شخصا ما ينزل من سلم ضيق يؤدى الى طابق علوى ، وعندما دقق ببصره وجدها كوكو ، المرأة التى سكب فى يدها المجوهرات فى ذلك اليوم عندما اشترى الأرض ·· فضحكت عندما رأته ، وقالت :

ـ حسن ، وانج المزارع ! من يتوقع أن يراك هنا !

فتراءى لوانج لانج أنه يجب أن يثبت لهـذه المرأة بأى ثمن أنه أكثر من مجرد رجل ريفى ، فضحك وقال بصوت مرتفع :

ـ أليست نقردى فى جودة أى رجل آخر ؟ فـلا يعوزنى المال هذه الأيام ، فلقد كونت ثروة طيبة ·

توقفت كوكو عندما سمعت سيرة النقود · كانت عيناها ضيقتين وبراقتين كعيني أفعي ، وصوتها ناعمـا نعومة الزيت المنسكب فى وعائه وقالت :

ـ من لم يسمع بذلك ؟ وكيف ينفق رجل نقوده فى مكان أفضل من هذا ، حيث يحصل الاثرياء عـلى متعتهم ، ويستمتع السادة الشبان بتناول طيب الطعام والملذات ؟ فلا يوجد مثل نبيذنـا ـ هـل تذوقته يا وانج لانج

فاجاب وانج لانج خجلا بعض الشيء :

ـ لقد شربت الشاى فقط حتى الآن ·

ـ وأتصور انك لم تنظر الى أى شيء آخر اليس كذلك ؟ أيه ؟ الم تر الأيدى الصغيرة الجميلة ؟ ولا الشفاه الفواحة بالعطر ؟

فتدلت رأس وانج لانج ، وقال فى ارتباك :

ـ كلا ، كلا ٠٠ لم يحدث ٠٠ شاى فقط !

عندئذ ضحكت المرأة وأشارت الى الصور ، وقالت :

ـ ها هن أختر أية واحدة منهن ترغب فى رؤيتها ؛ وضع الفضة فى يدى ؛ وسأضعها أمامك !

ـ هؤلاء ! فكرت أنهن صور نساء أحلام لالهات فى جبل كوين لوين اللاتى يتحدث عنهن راوى القصص ٠

فأجابت كوكو :

ـ انهن كذلك ، نساء أحلام ٠٠ ولكنهن أحلام تحولها قطعة فضة الى لحم ٠٠ ومضت فى طريقها ٠

جلس وانج لانج ينظر الى الصور بولع جديد ، ونظر لكل وجه مزين بالألوان وكأنه حقيقى ، واختار أكثرهن جمالا ، امرأة رقيقة ذات وجه منمنم كوجه قطة ويد ممسكة بعنق زهرة لوتس ، وجرى الدم فى جسده حارا سريعا ٠٠ !

الفصل السابع

لو كانت المياه قد انحصرت في ذلك الوقت وتركت أرض وانج لانج ، فربما لم يكن يستطيع أن يذهب الى محل الشاى الكبير ·· ولكن المياه كانت تكمن هادئـة بلا حراك ، الا عندما تهب ريح الصيف الخفيفة عنـد الغروب ·· وفى نهاية أحد الايام الطويلة الذى كان يبدو أطول من أى يوم آخر ، مشى بدون كلمة لأى أحد على طول الممرات الضيقة بجانب حافة الماء ، وعبر الحقول حتى وصل الى ظلام بوابة المدينة ، وعبر البوابة والشوارع حتى جاء الى محل الشاى الجديد ·

تردد وانج لانج عند الأبواب ، ووقف في الضوء الساطع المنبعث منها . فخرجت من الظلال الجاثمة على حافة الضوء امرأة مستندة باسترخاء على المدخل .. وكانت كوكو ، ولما رأت من يكون قالت :

ـ آه ، انه الفلاح لا غير !

فغضب وانج لانج فجاة وقال :

ـ حسن ، الا آتى الى المحل ؟ الا أفعل كما يفعل الرجال الآخرون ؟

فضحكت وقالت :

ـ ان كان لديك الفضة التى لديهم فيمكنك أن تفعل ما يفعلون !

فوضع يده في حزامه ، واخرجها مملوءة بالفضة وقال لها :

ـ أهذا يكفى أم لا يكفى ؟

فنظرت فى دهشة الى حفنة الفضة ، **وقالت بلا تأخير :**

ـ تعال ، وقل لى أى واحدة ترغب ٠

وقال وانج لانج وهو لا يدرى ما يفعله :

ـ هذه الصغيرة ذات الذقن البارز ، التى تمسك بزهرة اللوتس فى يدها !

فأشارت له المرأة ، وشقت طريقهـا بين الموائـد المتراصة ، وتبعها وانج لانج عن بعد ، وصعدا السـلم الضيق المستقيم الذى صعده وانج لانج بصعوبة ، لانها أول مرة يصعد فيها سلالم فى منزل ، وبدت مرتفعـة عندما مـر بنافذة وطل منها ، ثم قادته المـرأة فى ممر مظلم ، ثم طرقت بابا مغلقا بكف يدها بحدة ، ودخلت بدون انتظار وبالداخل كانت تجس فتاة رقيقـة صغيرة على فراش مغطى بالحرير ٠

لو أن أحدا أخبره بوجود أياد صغيرة مثل هذه ، لما صدقه ٠٠ يدان صغيرتان ، وعظام دقيقة ، وأصابع

انسيابية جدا ، لها أظافر طويلة مطلية باللون الوردى ٠٠ ولو أن أحدا أخبره بوجود أقدام مثل هذه ٠٠ قدمان صغيرتان محشورتان فى حذاء من الحرير الوردى ، ليستا أطول من خنصر رجل ، يتارجحان فوق حافة الفراش ، لما صدقه ٠

واصبح وانج لانج حاليا مريضا بالمرض الأكبر من أى مرض ٠ لقد قاسى عند عمله فى الشمس ، وقاسى من الرياح الثلجية القادمة من الصحراء ، وقاسى من قلة الطعام ، عندما فشل المحصول ، وقاسى من اليأس فى العمل بدون أمل فى شوارع المدينة الجنوبية ٠ لكنه لم يقاس تحت وطأة كل ذلك ، كما قاسى تحت وطأة يد هذه الفتاة الصغيرة ٠

أحب وانج لانج هذه الفتاة طوال فترة الصيف الحار ٠ لم يعرف شيئا عنها ٠٠ من أين أتت ؟ أو من كانت ؟ وعندما يكونا سويا فلا يتفوه الا بكلمات قليلة ، وينصت لفيض حديثها الخفيف الملىء بالضحك مثل حديث طفلة ٠٠ ويراقب وجهها ٠٠ يداها ٠٠ أوضاع جسدها



لوتس فى الجناح الداخلى ..

.. وميض عينيها الواسعتين الحلوتين .. لم يشبع منها مطلقا ، واعتاد ان يرجع الى منزله عندما يظهر ضـــوء النهار منعبا وغير راض .

واذا تكلم أحد معه ـ زوجته أو أطفاله ـ أو اذا جاءه شينج **وقال** :

ـ ستنحصر المياه قريبا ، فأى البذور جاهزة لدينا ؟

فكان يصيح :

ـ لماذا تزعجنى ؟!

ومع مرور الأيام أصبحت الفتاة لوتس تفعل معه ما يحلو لها ، وأخذت الفضة تتدفق من بين يديه . وأو ـ لان التى كانت قد تقول له فى الأيام الخوالى بكل سهولة : « لماذا أخذت نقودا من الجدار » لم تقل له شيئا الآن ، لكنها تراقبه فقط فى تعاسة . لقد خافت منه منذ ذلك اليوم ، عندما رأى بوضوح انها ليست جميلة الشعر أو الوجـــه ، وعنـــدما رأى أن قدميهـــا ضخمتان . وكانت تخاف أن تطلب منه أى شىء بسبب الغضب المستمر ازاءها دائما .

وذات يوم عندما عاد عبر الحقول متجها الى المنزل مر بالقرب منها وهى تغسل ملابسه فى البركة · فوقف امامها فى سكون لفترة ، ثم قال لها بخشـــونة ليغطى خجله ، ولا يعترف بالألم الذى فى قلبه :

ـ أين اللؤلؤتان ؟!

فأجابت بخوف رافعة بصرها من حافة البركة ، ومن الملابس التى كانت تضربها على حجر أملس مستو :

ـ اللؤلؤتان ؟ ·· عندى !

فقال وهو لا ينظر اليها ، انما الى يديها المبتلتين :

ـ لا فائدة فى الاحتفاظ باللؤلؤ ·

عندئذ قالت ببطء :

ـ لقد فكرت أن أعمل حلقين منهما فى يوم ما ·

وخوفا من ضحكته قالت مسرعة :

ـ يمكن أن أحتفظ بهما للبنت عندما تتزوج ·

ولكنه أجابها بصوت عال وبقلب متحجر :

ـ ولماذا تتحلى باللؤلؤ وبشرتها سوداء كالأرض ؟ اللؤلؤ للنساء الشقراوات ٠

وبعد لحظة صمت صرخ قائلا فجأة :

ـ اعطيهما لى ٠٠ انى احتاجهما !

عندئذ وضعت يدها المبتلة ببطء فى ملابسها ، وأخرجت الصرة الصغيرة ، وأعطتها له ، وراقبته وهو يفكها ٠٠ وابستقرت اللؤلؤتان في يده ٠٠ واصطادتا ضوء الشمس ، وضحك لرؤيته لهما ٠

وعادت أو ـ لان لضرب ملابسه ٠٠ وعندما تساقطت الدموع من عينيها ببطء وثقل ، لم ترفع يدها لتمسحها ٠٠ اذ كانت تضرب بعصاها الخشبية بشكل ثابت على الملابس الممددة فوق الحجر ٠

وهكذا كان الحال سيستمر حتى ينفق وانج لانج كل فضته ، لو لم يعد عمه فجأة وبدون أى تفسير من

أين كان ؟ أو ماذا كان يفعل • لقد وقف عند الباب ، وكأنه سقط من السماء ، وملابسه الممزقة مثبتة حول جسمه كما كان دائما . وكذلك وجهه ، برغم أنه أصبح اشد قسوة بسبب الشمس والريح •

نهض وانج لانج مندهشا والخوف في قلبه ، لكنه كان مؤدبا في سلوكه ، **وقال**

ـ حسن يا عمي ، هل تناولت الافطار ؟

فأجابه عمه بهدوء :

ـ كلا . ولكنى سآكل معك !

وجلس ، وسحب طاسة نحوه ، وقام بخدمة نفسه بحرية • **وعندما أكل قال ببساطة :**

ـ والآن ، سأنام . لأننى لم أنم مدة ثلاث ليال •

فقاده وانج لانج ـ الذى لم يكن يعرف ما يفعله غير ذلك ـ الى فراش أبيه ، **ونظر عمه للغرفة من حوله وقال :**

ـ حسن ، لقد سمعت بانك غنى ، ولكنى لم أعرف انك غنى لهذه الدرجة ·

والقى بنفسه على الفراش ، ونام دون كلام آخر ·

وأخيرا مرت فترة ما بعد الظهيرة ، واستيقظ عمه ، وخرج من الغرفة جارا ملابسه فوق جسده وقال لوانج لانج :

ـ والآن ، سأحضر زوجتى وابنى ، اننا ثلاثة ، ولن يؤثر طعامنا الذى نأكله ، ولا ملابسنا الفقيرة التى نرتديها على أحد فى منزلك الكبير هذا ·

لم يستطع وانج لانج الاجابة ، ومن العار على رجل أن يطرد عمه من المنزل ، عندما يكون لديه ما يكفى لاطعامه ويزيد ·

لكن وانج لانج كان غاضبا بشكل شديد ·· وغاضبا أكثر لأن عليه أن يدفن كل ذلك فى قلبه ، ويرحب بأقاربه بالابتسامات · وعندما رأى وجه

زوجة عمه السمين الناعم شعر وكأنه سينفجر غضبا ، أما عندما رأى وجه ابن عمه الصفيق السفيه استطاع بالكاد أن يمنع يده من صفعه • وظل غاضـــبا لمـدة ثلاثة أيام ، لدرجة أنه لم يذهب الى البلدة •

وعندما اعتادوا على ما حدث قالت له أو ـ لان :

ـ لا تغضب ، هذا شيء يجب أن نتحمله !

ورأى وانج لانج أن على عمه وزوجة عمه والابن أن يكونوا مؤدبين من أجل طعامهم ، وتحولت أفكاره بشكل أكثر عنفـا من قبـــل نحو فتـاة اللوتس ، **وقال لنفسه :**

ـ عندما يكون منزل الرجـل مليئا بالكلاب المسعورة فيجب أن يبحث عن السلام فى مكان آخر •

واحترقت فيه كل الحمى ، والألم القديمين •

ومالم تره أو ـ لان لبساطتها ولا الرجل العجوز بسبب سنه ، ولا شينج بسبب صداقته ، **رأته زوجة عمه فى الحال ، وصرخت قائلة :**

ـ ان وانـج لانج يأمل-فى قطف زهـرة فى مكان ما !

وعندما نظرت اليها أو ـ لان بانكسـار ، بغير فاهمة ، ضحكت وقالت ثانية :

ـ حسن ، اذن بصراحـة ، رجلك متيم بامرأة أخـرى !

وسمع وانج لانج زوجة عمه تقول صباح أحد الأيام خلف نافذته :

ـ لقد خبرت الرجال . فعندما يمشط رجـل شـعره ، ويشترى ملابس جديدة ، وأحذية جديدة فجأة ، فهناك امرأة جديدة فى مكان ما . هذا أكيد . . يجب أن تفهمى يابلهاء يامسكينة ان امرأة واحـدة لاتكفى أى رجـل ، واذا كانت هذه الواحدة امرأة مجتهدة ، وأبلت لحمها فى خدمته ، فهى أقل مما يكفيه، ويجـرى هواه الى مكان آخر بسرعة أكثر ، وأنت يابلهاء يا مسكينة ، كنت أفضل قليلا من ثور يعمل من أجله ، وليس عليك أن تغضبى ، اذا كان لديه

المال واشترى لنفسه امرأة أخرى ويجلبها الى منزله · لأن كل الرجال هكذا ·

وقالت أكثر من ذلك ، لكن أفكار وانج لانج توقفت عندما قالته ، لأنه عرف فجأة كيف يسد جوعه وعطشه لفتاة اللوتس التى يحبها ، قد يشتريها ويحضرها لمنزله ، قد يجعلها ملكه ، حتى لا يستطيع أن يقربها رجال آخرون ، وعندئذ قد يشبع ، ونهض فى الحال وخرج ، وأشار لزوجة عمه أن تلحقه ، وعندما تبعته الى مكان لا يستطيع أن يسمعها فيه احد قال :

ـ لقد سمعت ما قلته خارج نافذتى ، انك على صواب ، اننى فى حاجة لأكثر من هذه الواحدة ولم لا ؟ طالما لدى الأرض لتطعمنا كلنا

فأجابت بسقف .

ـ لم لا ، حقا ؟ فكل الرجال الذين يغتنون يفعلون ذلك · انه الرجل الفقير فقط الذى يجب أن يشرب فى كأس واحدة ·

واستطرد ـ كما توقعت هي ـ قائلا :

ـ لكن من سيرتب الموضوع لى ؟ فلا يستطيع رجل ان يذهب الى المراة ويقول « تعالى الى منزلى » ٠

فاجابت على ذلك في الحال :

ـ أترك هذه المهمة فى يدى ٠ أخبرنى فقط من هي المرأة ، وسأنفذ لك المهمه ٠

وبينما كان ينتظر زوجة عمه لتتم الموضوع ، نادى عماله ، وأمرهم أن يضيفوا جناحا اخر لمنزله خلف الحجرة الوسطي ٠ وانتهى من كل ذلك ، ومضى شهر ، والعملية لم تتم بعد ٠ لذلك انتظر وانج لانج بمفرده فى الجناح الجديد الذى بناه للوتس ، وفكر فى أن يبنى بركة ماء صغيرة فى منتصف الساحة الجديدة ٠ فنادي أحد العمال ، الذى حفر بركة مساحتها ثلاثة أقدام مربعة وصقلهـا بالقرميد ، وذهب الى المدينة واشترى لها خمس سمكات صغيرة ، ولم يستطع أن يفكر فى أى شىء آخر ليفعله ، فانتظر ثانية على أحر من الجمر ٠

وجاءت الى منزله عند نهـــاية الصيف فى أحـــد الأيام الحارة المشرقة · وحملها الرجال على أكتافهم فى كرسى تحيط به الستائر من كل جانب · وأخذ يراقبهم والكرسى يتحرك فى هذا الطريق وذاك الطريق على طول الممرات الضيقة ، بجانب الحقول وكانت كوكو تسير خلفها · وعندما **اقترب الموكب صاحت كوكو فى مرح :**

ـ حسن ، لم اكن اظن أننا سنقوم بعمل كهذا !

وذهبت الى الكرسى الذى وضـــعه الرجال على الأرض ، **ورفعت الستارة وقالت :**

ـ تعالى ، يا زهرة اللوتس ، هذا هو منزلك ، وهنا سيدك !

وارتفعت الستارة ، وقبل أن يدرك ما فعله نظر ·· كانت تجلس فى الظل فى زينتهـــا الكاملة ·· باردة كالزهرة ·· انها فتاة اللوتس · وبينما كان يراقبها،أخذت هى يد كوكو ونزلت،واحتفظت براسها

منخفضا أثناء مشيها على قدميها الصغيرتين مستندة على كوكو ، وعند مرورها لم تكلمه ·

ولكن همست بوهن :

- أين حجراتى ؟

عندئذ جاءت زوجة عمه الى الامام على الجانب الآخر منها ، وقادا بينهما الفتاة الى الســاحة والى الحجرات الجديدة التى بناها لها وانج لانج · ومشت بصعوبة على قدميها الصغيرتين ولم يكن يوجد بالنسبة لوانج.لانج شيء فى العالم فى جمال قدميها المدببتين الصغيرتين ، ويديها البضتين الدقيقتين ·· .

ليس مــن المفروض أن قدوم هــذه الفتاة التى تدعى لوتس ، ووصيفتها كوكو الى منزل وانج لانج يمكن أن يتم دون ما يعكر الصفو · فوجود كثر من امــرأة تحت سقف واحــد لا يشكل سلاما · فحدثت مشاجرات فى الحال بين أو ـ لان وكوكو ·· كانت كوكو راغبة فى أن تكونا صديقتين ، ما دامت تقبض

من وانج لانج . وصاحت فى او - لان فى ابتهاج عندما رأتها لأول مرة :

- حسن ، يا صديقتى القديمة ! ها نحن هنا فى منزل سويا مرة ثانية ، أنت الزوجة الأولى وسيدة المنزل - كيف تغيرت الأمور !

لكن أو - لان نظرت اليها فقط ، وعندما فهمت أخيرا من هى ، وما هو دورها ، لم تجب وأنزلت الماء الذى كانت تحمله ، ودخلت الحجرة الوسطى حيث كان وانج لانج جالسا ، وقالت له بصراحة :

- ما الذى تفعله هذه المرأة العبدة فى منزلنا ؟

نظر وانج هنا وهناك ، وجعله خجله غاضبا ، لكنه عندما فكر فى الموضوع وجد أنه لا داعى للخجل ، اذ لم يفعل أكثر من أى رجل لديه فضة كافية .

وقفت أو - لان هناك بصلابة على قدميها الكبيرتين وانتظرت ، وعندما لم يتفوه بشىء سألت ثانية بنفس الكلمات :

ـ ما الذى تفعله هذه المرأة العبدة فى منزلنا ؟

عندئذ قال وانج لانج بضعف :

ـ ماذا يهمك فى ذلك ؟

فقالت او ـ لان :

ـ لقد تحملت نظراتها المتكبرة طوال شبابى فى المنزل . كانت تركض الى المطبخ عشرين مرة فى اليوم صارخة « والآن اعمل شاى للسيد » « والآن طعام للسيد » وكانت دائما ما تقول « هذا ساخن » و « هذا بارد » و « هذا سىء الطهى » وأنا كنت الغبيا البطيئة و .. و .. و .. ولكن ما زال وانج لانج لا يجيب ، لأنه لم يكن يعرف ماذا يقول .

وانتظرت أو ـ لان ، وعندما لم يتكلم جاءت الدموع الحارة ببطء الى عينيها ، وحاولت أن تمسح دموعها ثم أخذت بطرف ردائها الأزرق ومسحت عينيها .. **وقالت فى النهاية :**

ـ أنه شيء مرير في منزلي ، وليس لدى منزل أم لأعود اليه .

كان وانج لانج لا يزال صامتا . ونظرت اليه بحزن يخرج من عينيها اللتين كانتا مثل عيني بهيمة لا تستطيع الكلام .. ثم ولت ذاهبة وهي تزحف ببطء متلمسة طريقها للباب بسبب الدموع التي أعمتها .

راقبها وانج لانج وهي تذهب ، وكان سعيدا أن ينفرد بنفسه ، لكنه كان خجلا ، غاضبا لذلك . وقال لنفسه بصوت عال وبنفاد صبر ، وكأنه يتشاجر مع شخص آخر :

ـ حسن ، رجال آخرون يفعلون ذلك . لقد كنت طيبا بما فيه الكفاية نحوها . هناك رجال أسوأ مني .

لكن لم تكن أو ـ لان قد انتهت من الموضوع ، وسارت في طريقها في صمت . وفي الصباح سخنت ماء وقدمته للرجل العجوز ولوانج لانج ، وعندما ذهبت كوكو لتبحث عن ماء ساخن لسيدتها كان الاناء فارغا ..

استمرت أو ـ لان فى طبخها فى ثبات غير ملتفتة ..
لصراخ كوكو المرتفع « هل تبقى سيدتى الرقيقة »
عطشى ، وتصرخ من أجـل شربة ماء فى الصـباح ؟ »
.. ودفعت أو ـ لان بالعشب والقش فى الموقد وقامت
بفرده بعناية كما كانت تفعل عادة فى الأيام الخوالى ،
عندما كانت حتى ورقة الشجر ثمينة بسبب النار التى
قد تشعلها تحت الطعام .

ذهبت كوكو إلى وانج لانج شاكية بصوت عال .
فغضب أن ينغص حبه مثـل هذه الأمور ، **فذهب الى
او ـ لان وصاح بها :**

ـ الا تستطيعين اضافة كوب ماء فى الاناء كل
صباح ؟

ولكنها أجابت وعلى وجهها غضب أعمق من قبل :

ـ على الأقل ، أنا لست عبدة للعبيد فى هذا
المنزل .

فشاط غضبه وامسك بكتفها وهزها بشدة وقال :

ـ لا تكونى أكثر من بلهاء ! انه ليس للوصيفة، بل للسيدة !

وتحملت عنفه ، ونظرت اليه وقالت بسذاجة :

ـ السـيدة التى أعطيتهـا اللؤلؤتين الخاصتين بى ..

فأنزل يـده ، وزال عنه غضبه ، وولى خجـلا ، ثم قال لكوكو :

ـ سنصنع موقدا آخر ، وسأبنى مطبخا آخر . فالزوجة الأولى لا تعرف شيئا عن الطعام الرقيق الذى تحتاجه الأخرى لجسدها شـبيه الزهرة .. وستطهين ما تحبين من طعام .

وأصبح موضوع المطبخ الجديد مصدر ازعاج له ، لأن كوكو تذهب الى البلدة كل يوم ، وتشترى أطعمة غالية تأتى من المدن الجنوبية وبدأ يـرى أطعمـة لم يكن قد سمع عنها مطلقا ، وكلها تكلف نقودا أكثر مما يحب أن يعطى . بالاضافة الى تأكده من أنها لا تكلف قدر ما تطلبه كوكو ..

وكان يترتب على هذا الازعاج ، ازعاج آخر ، وهو بخصوص زوجة عمه التى تحب الطيب من الطعام ، فغالبا ما كانت تذهب الى البلاط الداخلى فى أوقات الوجبات ، وكأنهـا فى بيتها . ولم يكن وانج لانــج مسرورا أن تختار لوتس هذه المرأة كصديقة من بين كل من فى المنزل .

وهكذا لم يصبح حبه للوتس كاملا كما كان من قبل ، عندما كان يملأ كل عقله ، اذ أتلفته هذه الغضبات الصغيرة التى زادت حدتها عليه ، لأنه كان مضطرا الى أن يتحملهـا .. ولا يسـتطيع أن يذهب الى أو – لان بحرية ، لينفس عن نفسه ، طالما أن حياتهما سويا قد تحطمت الآن .

وجاء يوم عند انتهـاء الصيف ، وسماء الصباح الباكر صافية ، زرقاء باردة كماء البحر ، وهبت ريح الخريف النظيفة فوق الأرض ، فتيقظ وانج لانج وكأنه كان نائما ، وتوجه الى باب منزله ، ونظر عبر الحقول .. لقد رأى المياه قد انحسرت والأرض ممتدة تبرق تحت الريح الجافة الباردة وتحت الشمس اللاسعة .

عندئذ صرخ فى داخله صوت أعمق من الحب ٠٠ صرخ فيـه طالبـا يده ٠٠ وسمعه فوق كل الأصوات الأخرى فى حياته ، فخرج قويا متلهفا وهو يصيح :

ـ أين العزاقة ٠٠ وأين المحراث ؟ وأين الحبوب لبذر القمح ؟ تعال يا شينج ، يا صديقى تعال ـ نادى الرجال ٠٠ اننى خارج الى الأرض !

الفصل الثامن

بدأت لوتس فى الشكوى ، فهى ترى وانج لانج يفكر في أشياء أخرى فى حضورها ، **وتقول :**

ـ لو كنت أعرف انك في غضون أقل من سنة ، ستنظر الى ولا ترانى ، لبقيت فى بيت الشاى ! وكانت تشيح برأسها بعيدا وهى تتكلم ، وتنظر اليه من زاوية عينيها ، لذلك ضحك ، وأمسك بيدها ، ووضعها مقابل وجهها وقال :

ـ حسن ، لا يستطيع الرجل أن يفكر دائما فى الجوهرة التى ثبتها على ردائه ، برغم أنه لو فقدها ،

فلمن يستطيع تحمل ذلك ·· اننى أفكر هذه الأيام فى ولدى الأكبر الذى أشـــعر بتململ دمه ·· يجب أن يتزوج ، ولكنى لا أعرف كيـف أجـده التى يجب أن يتزوجها · اننى لست راغبا فى أن يتزوج من بنات فلاحى القرية ·

وبدأت لوتس تنظر الى الابن الأكبر بشىء من الحظوة ، حيث أصبح طويلا رشيقا · ونادت كوكو ، التى ركضت قادمة من المطبخ ·

ـ من كان الرجل الضخم حسن المظهر الذى جاء لى ثم اعتاد أن يذهب الى زهرة البرتقال ، رغم أنه كان دائما يحبنى أكثر ، ولكن كان يزعجه اننى أشبه ابنته الصغيرة ؟

فاجابت كوكو فى الحال :

ـ آه ، انه ليو تاجر الغلال · لقد كان رجلا طيبا ! كان يترك الفضة فى يدى كلما رآنى !

وسأل وانج لانج المرأتين برغم أنه يعلم ان حديث النساء لا ينتهى غالبا الى شىء :

ـ أين سوق الغلال هذا ؟

ـ فى شارع الجسر الحجرى ٠

ضرب وانج لانج يديه فى بعضهما فى سرور ، وقال :

ـ انه حيث أبيع غلالى ٠ انه لفأل طيب ، يمكن أن يتم هذا الموضوع بالتأكيد ٠

وتيقظ اهتمامه لأول مرة ، حيث بدا له شيئا طيبا أن يزوج ابنه الى ابنة الرجل الذى يشترى غلاله ٠

كانت كوكو تشم رائحة النقود فى أى أمر تقوم به ، كما يشم الفأر الجبن ، فمسحت يديها ، وقالت بلهفة :

ـ اننى جاهزة لخدمة السيد ٠

وتردد وانج لانج ، لكن لوتس قالت بابتهاج :

ـ هذا صحيح ! ستذهب كوكو ، وتسأل الرجل ليو ، انه يعرفها جيدا ، ويتم الأمر لأن كوكو بارعة بما

فيه الكفاية · واذا تم بشكل جيد ، فستأخذ المال الذى يستحقه من يقوم عادة بترتيب الزواج ·

لم يكن وانج لانج يريد أن يقرر بسرعة هكذا لأنه لم يفكر فى الموضوع بشكل كاف ، **وصاح قائلا :**

ـ كـلا ، اننى لم أقرر بعد · لا بد أن أفـكر فى الموضوع لبضعة أيام ، ثم سأخبرك بما أفكر فيه ·

أما المرأتان ، فكانتا نافذتا الصبر ـ كوكو لأنها كانت تريد الفضة ، ولوتس لأنه شىء جديد ، وهى تحتاج لشىء جديد يسليها ، **ولكن وانج لانج أردف قائلا:**

ـ كلا ، انه ابنى ، وسأنتظر ·

ولكنه قال لكوكو فيما بعد :

ـ فليكن كما قلت ، اذهبى الى تاجر الغلال ، ورتبى الزواج ·

ورجعت كوكو بالأخبار ، فرغم أن الموضوع سار بشكل طيب الا أن التاجر ليو ، لا يرغب فى أن يحدث

أى شىء سوى تبادل الوعود ، لأن البنت صغيرة على الزواج ، فهى فى ربيعها الرابع عشر فقط . وعليهم أن ينتظروا ثلاث سنوات أخرى . وقلق وانج لانج لفكرة السنوات الثلاث هذه ، لتمطل الشاب ، وعدم استقراره.

وجاءت أحد الأيام سحابة صغيرة من الجنوب ، وكأنها جاءت لتشفيه من أفكاره المتعلقة مما يعكر صفوة . وتعلقت فى البداية قرب الأفق لا تتحرك مثل السحاب الذى تدفعه الريح ، بل وقفت فى ثبات الى أن انتشرت على شكل مروحة فى الهواء . وأخذ رجال القرية يراقبونها ، والخوف يخيم عليهم ، لقد خافوا أن يكون الجراد قد جاء من الجنوب ليدمر ما قد زرعوه فى حقولهم ، ووقف وانج لانج أيضا يراقب ويرتقب ، وأخيرا دفعت الريح بشىء ما الى أقدامهم ، فانحنى أحد الرجال بسرعة ، والتقطها .. وكانت جرادة ميتة .. وعندئذ نسى وانج لانج كل ما يقلقه ، **وركض بين القرويين الفزعين ، وصاح فيهم :**

ـ والآن ! سنحارب هؤلاء الأعداء القادمين من السماوات !

فمنهم من هز رأسه يائسا من البـــداية وقال هؤلاء :

ـ كلا ، لا جدوى من فعل أى شىء · لقد أمرت السماء أن نتضور جوعا هذا العام ،فلماذا ننهك أنفسنا فى الصراع ضد ذلك ؟

وذهبت النساء الى البلدة ، لشراء البخور لحرقها أمام آلهة الأرض فى المعبد الصغير · ولا يزال الجراد معلقا عاليا فى الهواء ، وفوق الأرض ·

نادى وانج لانج عماله ، ووقف شينج من خلفه صامتا ومستعدا ـ وآخرون من بين الفلاحين الشباب · فأشعلوا النار بأيديهم فى بعض الحقول ، وأحرقوا القمح الطيب القائم منتظرا جنيه ، وحفروا مصارف عريضة ، وأجروا فيهـــا الماء من الآبار · وعملوا بدون نوم · وأحضرت لهم النساء الطعام ، وأكله الرجال وهم واقفون فى الحقول ، يبتلعونه بسرعة ، كما تفعل الحيوانات · وازدادت السماء سوادا بعد ذلك ، وامتلأ الهواء بالأزيز العميق الناعم للأجنحة العديدة التى تتخبط فى بعضها ،

وهبط الجراد على الأرض طائرا فوق أحد الحقول ويتركه دون مسه ، ويهبط على حقل آخر فيتركه أجرد لا خضرة فيه ٠٠ وعندئذ يتنهد بعض الرجال قائلين :

ـ انها ارادة السماء !

لكن وانـج لانج كان حانقـا ، فأخذ يضرب في الجراد ، ويدوس عليه ، ورجاله يضربونه بالعصى ، فكان يسقط في النيران المشتعلة ، ويطفو ميتا فوق مياه المصارف التى تم حفرها ٠٠ ومات الكثير منه ، ولكن ذلك لا يعنى شيئا بالنسبة لسحابات الجراد الأخـرى.

لكن وانج لانج حصل على مكافأته مقابل كفاحه ـ لقد أنقذ أفضل حقوله ٠ فعندما تحركت سحب الجراد . واستطاع أن يرتاح ، كان لا يزال هناك قمح يمكن أن يجنيه ، كما أنقذ أيضا أحواض الأرز الصغيرة ٠٠ وكان راضيا !

وجنى قمحه ، وجاءت الأمطار ، وتم زرع الأرز الصيفى فى الحقول المغمورة بالماء وجـاء الصيف مرة أخرى ٠

وفى يوما ما ، عندما أحس وانج لانج بالسلام فى منزله ، جاءه ابنه الاكبر عند عودته ظهرا فى الأرض ، وقال :

ـ أبى ، اذا كان على أن أكون رجلا متعلما ، فلا مدعاة للرجل العجوز بالبلدة أن يعلمنى ·

وتردد ، ثم استمر قائلا :

ـ أحب أن أذهب جنوبا الى مدينة لأدخل مدرسة كبيرة ، حيث أستطيع أن أتعلم كل ما يجب تعلمه ·

فأجاب وانج لانج ابنه بحدة لسبب أوجاع جسمه بعد عمله فى الحقول :

ـ ما هذا الكلام الفارغ ؟ أقول لا يمكن أن تذهب ، لقد تعلمت بما فيه الكفاية لهذا المكان !

لكن الشـاب ظل واقفـا ، ونظر الى أبيـه فى كراهية ، وقال شيئا بعنف فى صوت منخفض ، وغضب وانج لانج لأنه لم يستطع سماع ما قاله، **لذلك صاح فى ابنه :**

ـ أجهر بصوتك بما تريد قوله !

عندئذ فقد الشاب أعصابه على ضجة صوت أبيه تصرخ :

ـ تمام ، إذن سوف أذهب ! سوف أذهب الى الجنوب ، ولن ابقى فى هذا البيت الغبى ، لكن تراقبونى الطفل ، وفى هذه البلدة الصغيرة التى ما هى الا قرية تافهه ! سأذهب وأتعلم شيئا ، وأرى اماكن اخرى !

تطلع وانج لانج الى ابنه وهو واقف هناك فى ردائه الرمادى الطويل الخفيف ، المناسب لحرارة الصيف ، وفوق شفته العليا تظهر الشعرات السوداء الاولى لسن الرجولة ، وكان جلده يبدو ناعما دهبيا ، ويديه تحت أكمامه الطويلة ناعمتين ورقيقتين كيدى امراة . ثم نظر وانج لانج الى نفسه .. كان ملطخا بطين الأرض .. يرتدى ملابس قطنية زرقاء فقط ، والجزء العلوى من جسده كان عاريا .. وكان يبدو وكأنه خادم لابنه وليس أباه ..

جعلته هذه الفكرة يحتقر الملامح الناعمة الجميلة للشاب الطويل ، **وصاح قائلا :**

ــ والآن ، اذن .. أخــرج الى الحقول ، وادعك نفسك بقطعة صغيرة من الأرض الطيبة ، فالناس قد يخطئونك ويحسبونك امرأة • اعمل قليلا للأرز الذى تأكله !

نسى وانج لانج أنه يفتخر بكتابة ابنه ، وفى براعته فى مسك الدفاتر ، وترك الحجرة فى ضجة ، باصقا على الأرض بشكل بدائى ، لأن رقة ابنه قد أثارت حنقه • ووقف الشاب ، ونظر اليه بكراهية ، لــــكن وانج لانج لم ينظر خلفه ليرى ما يفعله ابنه •

وبعد ذلك لم يحدث أى شيء لعدة أيام ، وبدا أن الولد أصبح راضيا ثانيــة ، ولكنه لم بعد يذهب الى المدرسة ، وسمح وانج لانج بذلك ، لأن الولد كان فى الثامنة عشرة تقريبا ، وكان كبيرا مثل أمه ، وكان يقرأ فى حجرته ، عندما عاد أبوه للمنزل •

وفكر وانج لانج لنفسه :

ــ كانت نزوة شــباب عابرة ، انــه لا يعرف ما يريده ، بقى ثلاث سنوات فقط ــ وربما قليل من

لفضة تجعلها أقل ·· وفي أحد هذه الأيام ، عندما ينتهي الحصاد ، ويبذر قمح الشتاء ، ويعزق الفول ، سوف أجد حلا لذلك ·

أصبح وانج لانج قانعا بحياته الآمنة ، والولد راض ، الى أن جلس منفردا فى وقت متأخر ذات مساء : يحسب على أصابعه ، كم يستطيع أنه يبيع من قمحه ، وأرزه ، عندما دخلت أو ـ لان الحجرة برفق · لقد ازدادت نحافة مع مرور السنين ، وبرزت العظام من وجهها وأصبحت عيناها غائرتين · واذا سألها أحد عن حالها ، **فكانت لا تقول أكثر من :**

ـ « كأن نارا قد اشتعلت داخلى » !

كانت تبدو فى الثلاث سنوات الاخيرة ، وكأنها ستنجب ، ومع ذلك لم يحدث · ولكنها لازالت تنهض مع ضوء النهار ، وتقوم بعملها ـ وأصبح وانج لانج يراها كما يرى مائدة أوكرسيا ، ليس أكثر ، لم يكن يلاحظها كما قد يلاحظ الثور الذى يمرض أو الخنزير الذى لا يريد أنه يأكل ·

وفى هذا المساء ، وقفت أمامه وقالت :

ــ لدىأمر أريد قوله !

فنظر اليها بدهشة وقال :

ــ حسن ، قوليه اذن !

وشاهد الظلال الغائرة فى وجهها ففكر ثانية بأنها لا تتمتع بأى جمال ، ولم يرغب فيها لمدة سنوات عديدة فقالت فى همس مزمجر :

ــ الابن الأكبر ، يذهب الى الجناح الداخلى كثيرا .. يذهب هناك عندما تكون خارجا .

لم يستطع وانج لانج فى البداية أن يفهم ما قالته ، ومال للأمام وفمه مفتوح ، وقال :

ــ ماذا يا امرأة ؟

فأشارت فى صمت الى حجرة ابنها ، ثم بعيدئذ الى باب الجناح الداخلى . فنظر اليها غير مصدق ، ثم قال فى النهاية :

ــ انك تحلمين !

فهزت رأسها على ذلك ، فالكلام كان صعبا عليها ، **ولكنها اضافت قائلة :**

ـ حسن يا سيدى ، تعال فجأة الى البيت عندما لا يتوقعك أحد !

ثم اردفت بعد صمت :

ـ من الأفضل أن تبعده الى الجنوب !

وذهبت فى صمت كما جاءت ، تاركة اياه جالسا فى دهشة • **فقال لنفسه :**

ـ حسن ، انها غيورة ، لا داعى أن ازعج نفسى بذلك ، فالولد راض ويقرأ كل يوم فى حجرته •

ونهض ، وطـرد الفكرة ضـاحكا على الأفـكار السطحية • ولكنه تذكر فيما بعد أن ابنه لم يقل فى الآونة الأخيرة ، شيئا عن الذهاب ، بل كان قانعا بالبقاء ، لماذا كان قانعا ؟ **فقال وانبج لانج فى قلبه بشراسة :**

ـ سوف أرى بنفسى !

وعندما جاء ضوء النهار ، صاح بصوت عال لعماله ، حتى يسمع من فى المنزل :

ـ ساذهب الى الأرض المجاورة لجدران البلدة ، وسأعود متأخرا ٠

وسار فى طريقه تجاه البلدة ، ولكنه ، عندما ذهب مسافة قليلة ، قفل راجعا الى منزله من طريق آخر ، ودخل المنزل سرا ، ووقف بجانب الستائر المعلقة على الباب المؤدى الى الجناح الداخلى ، فسمع صوتا منخفضا لرجل ، انه صوت ابنه !

ان الغضب الذى اشتعل فى قلب وانج لانج ، لم يعرفه من قبل فى حياته كلها ، فخرج وانتقى عصا رفيعة محنية من شجرة صغيرة ، ونزع الأفرع والأوراق منها ، ثم دخل برفق ، وازاح الستارة فجأة جانبا،فوجد ابنه واقفا فى الساحة ينظر الى لوتس التى تجلس على حافة البركة ، وكانت ترتدى رداء حريريا برتقالى اللون ، لم يشاهدها ترتديه فى الصباح مطلقا ، وكان الاثنان يتكلمان ٠ والمرأة تضحك وتنظر الى الفتى

بطرف عينها ، وكانا ملتفتين الى الجهـة الأخرى ، فلم يسمعا وانج لانج •

قفز بعد ذلك وانج لانج ، وهاجم ابنه ، وبالرغم من أن الفتى كان أطول ، الا أن وانج لانج كان أقوى بسبب سنه ، وعمله القاسى فى الحقول ، وأخذ يضرب ابنه حتى نزف دمه ، وعندما صرخت لوتس وتعلقت بذراعه ، دفعها بعيدا عنه ، وعندما عادت ثانية ضربها هى أيضا حتى ولت هاربة ، واستمر فى ضرب الفتى الذى كوم نفسه على الارض ، وغطى وجهه الممزق بيديه ، فالقى بعصاه وهمس للولد :

ـ اذهب الآن الى حجرتك ، ولا تجرؤ على الخروج منها والا قتلتك !

نهض الولد بدون كلمة ، وذهب ، وجلس وانج لانج بجوار البركة واضعا رأسه بين يديه ، وأغمض عينيه ، وأصبح تنفسه ثقيلا ، ولم يقترب منه أحد ، وظل حتى هدأ وذهب غضبه • وبعد ذلك نهض متثاقلا، وعند مروره على غرفة ابنه صاح بدون ان يدخل :

- ضع أغراضك في صندوقك ، وغدا تذهب الى الجنوب لتفعل ما تشاء ٠

ومشى خارجا الى حقوله ، حيث كانت الشمس لازالت تصعد السماء ، ولكنه شعر بالتعب وكأنه عمل يوما كاملا ٠

وشعر وانج لانج ، عندما ذهب الابن الأكبر أن المنزل قد تحرر من مصدر ازعاج ، ووجد في ذلك راحة له ، وقرر أن يأخذ ابنه الثاني من المدرسه ويجعله يبدأ في حرفة ، ولا ينتظر مرحلة الشباب الخطرة لتحوله الى شيء سيء في المنزل ، مثلما كان الابن الاكبر ٠

كان الابن الثاني على نقيض الأكبر ٠ كان قصيرا وخفيفا وأصفر البشرة ، له عينان حادتان ولسان حاد أيضا ٠ **وفكر وانج لانج :**

- سيصبح هذا الولد تاجرا ناجحا ، سآخذه من المدرسة ، وأرى طريقة يتعلم بها العمل في سوق الغلال ٠٠ سيكون شيئا مريحا أن يكون لي ابن حيث أبيع محاصيلي ٠

لذلك قال لكوكو فى احد الأيام :

ـ اذهبى الآن ، وأخبرى والد زوجة المستقبل لابنى الأكبر ، بأن لدى ما أريد قوله له • وسنشرب كأسا من النبيذ سويا على أية حال •

فذهبت كوكو ، ورجعت تقول :

ـ سيراك متى تشاء ، واذا أمكنك أن تاتى لتشرب معه النبيذ اليوم ، فمرحبا بك •

وهكذا اغتسل وانج لانج ، وارتدى رداءه الحريرى ، ومضى عبر الحقول • وذهب الى شارع الجسور كما أخبرته كوكو ، ووقف هناك أمام بوابة ، كانت بوابة كبيرة مشيدة من الخشب ، فطرق عليها بكف يده ، فانفتحت فى الحال ، ووقفت خادمة أمامه ، وأخذته الى غرفة ، فطلبت منه أن يستريح حتى تذهب وتنادى سيدها •

نظر وانج لانج حوله باهتمام ، ونهض وتحسس الستائر فى المدخل ، وتفحص خشب المنضدة ، انها

علامات حياة رغيدة ، لكن ليست ثراء عريضا . انه لا يريد زوجة ابن غنية ، فقد تكون مغرورة وغير مطيعة، وتنشد الأطعمة والملابس الغالية وتبعد قلب ابنه عن والديه ، وجلس وانج لانج ثانية وانتظر .

وجاء صــوت خطوات ثقيلة من الخارج ، ودخل رجل ضخم، فنهض وانج لانج وانحنى الاثنان وكل منهما ينظر سرا للآخر .. وارتاح كل منهما الى الآخر وجلسا سويا وشربا النبيذ الساخن الذى سكبته الخادمة لهما ، وتحدثا ببـطء فى أمور شتى .. فى المحاصـــيل ، والأسعار ، والسعر الذى سيصل اليه الأرز هذا العام ، اذا كان المحصول جيدا . **وقال وانج لانج اخيرا :**

ـ لقد حضرت بخصوص موضــوع معين ، فاذا أحببت دعنا نتكلم عن أشياء أخرى ، ولكن اذا احتجت الى خادم فى سوقك الكبير ، فلدى ابنى الثانى ، انه ولد ذكى ، لكن اذا كنت لست محتاجا اليه ، فدعنا نتكلم عن أمور أخرى .

عندئذ قال التاجر بروح فكاهية طيبة جدا :

ـ انى أحتاج لمثل هذا الشاب الذكى ، اذا كان يقرأ ويكتب ٠

فاجاب وانج لانج باعتزاز :

ـ يستطيع ولداى الاثنان أن يفعلا ذلك جيدا ٠

فقال ليو :

ـ هذا طيب،دعه يأتى عندما يريد ، سيكون أجره فى البداية طعامه فقط ،حتى يتعلم العمل،ولأن اسرتينا متحدتان ، فلن أطلب نقودا مقابل الاتفاقية ٠

ونهض وانج لانج فى غاية السرور ، وضحك ، وقال :

ـ لدى ابن آخر عمره عشر سنوات لم أعد به أحدا بعد ٠ كم عمر ابنتك ؟

ـ عمرها عشر سنين فى عيد ميلادها القادم هى زهرة جميلة ٠

ثم ضحك الرجلان وقال التاجر :

ـ هل سنربط أنفسنا سويا بحبل مزدوج ؟

ولم يجب وانج لانج لأن ذلك لا يمكن مناقشته وجها لوجه أكثر من ذلك . وانحنى وذهب وهو يشعر بالكثير من السعادة .

وعندما عاد للبيت نظر الى ابنته الصغيرة ، كانت طفلة جميلة ، ولقد ربطت أمها قدميها جيدا ، ولذلك كانت تتحرك بخطوات صغيرة رشيقة . وعندما نظر اليها وانج لانج عن كثب رأى آثار دموع على وجهها . كانت شاحبة ووقورة برغم سنها الصغير ، فسحبها ابيه من يدها الصغيرة ، **وقال :**

ـ والآن ، لماذا كنت تبكين ؟

فأطرقت برأسها ، **وأخذت تلعب برز على ردائها ، وقالت :**

ـ لأن أمي تربط قماشا حول قدمي أكثر ضيقا كل يوم ، ولا أستطيع أن أنام بالليل .

ـ لم أسمعك تبكين من قبل !

ـ كلا ، قالت أمي انى لا يجب أن أبكى بصوت

غال ، لأنك رحيم وضعيف فلا تحب أن تسمعنى أتألم وقد نقول لها أن تتركنى كما أنا ، وعندئذ لن يحبنى زوجى كما لا تحبها أنت ٠

قالت ذلك ببساطة طفلة تكرر قصة . وانزعج وانج لانج عند سماعه ذلك ٠٠ ان أو ـ لان قد قالت للطفلة أنه لا يحبها ، وهى أم الطفلة ٠ فقال لها بهدوء:

ـ حسن ، اليوم سمعت عن زوج جميل لك ، وسوف نرى اذا كانت كوكو تستطيع ترتيب الأمر ٠

فأبتسمت الطفلة وأخفضت رأسها وكأنها شابة وليست طفلة ٠ وقال وانج لانج لكوكو فى نفس المساء عندما كان فى الجناح الداخلى ، لترى اذا كان ذلك يمكن اتمامه ٠ ونام بسهولة بجانب لوتس تلك الليلة ٠ واستيقظ وبدأ يفكر فى حياته ، وكيف كانت أو ـ لان المرأة الأولى التى عرفها ، وكيف كانت خادمة مخلصة بجواره دائما ٠٠ وفكر فيما قالته الطفلة ، فشعر بالحزن لأن أو ـ لأن بكل غبائها رأت الحقيقة فيه ٠

وأرسل بعد ذلك فورا ابنه الثانى الى البلدة ، ووقع الأوراق الخاصة بزواج البنت الثانية ، وتم تحديد الهدايا والملابس والمجوهرات ليوم زواجها ، ثم فكر :

ــ حسن ، والآن تم تدبير أمور أطفالى ، وبلهائى المسكينة لا نستطيع أن تفعل شيئا سوى ان تجلس فى الشمس مع قطعه قماشها وابتسامتها .. أمـــا الولد الأصغر ، فسأبقيه فى الأرض .. لن يذهب الى المدرسة، طالما يستطيع اثنان من أبنائى القراءة فهذا يكفى ..

وكان فخورا لأن لديه ثلاثة أبناء . واحد منهم يدرس وآخر تاجر لا مزارع .. وتوقف عن القلق على أطفاله . ولكن سواء أراد أم لم يرد ، جاء فى خاطره المرأة التى حملتهم له . ولأول مرة فى جميع سنواته معها بدأ وانج لانج يفكر بخصوص أو ــ لان . نظر اليها باحساس مذنب غريب ، لقد لاحظ أنها ازدادت نحافة وأصبحت بشرتها صفراء وجافة . والآن ، حيث فكر فيها ، تذكر أنه كان يسمعها أحيانا تبكى عندما تنهض من فراشها ، أو عندما تنحنى لتشـــعل المـــوقد ، وعندما يسأل :

ـ حسن ، ما هذا ؟

لكانت تتوقف فجأة .. والآن ، ينظر اليها ، والى التورمــات الغريبة التى لديهــا فى جسمها فيمتلئ بالاحساس بالذنب ، برغم أنه لا يعرف لماذا ! **واخذ يجادل نفسه :**

ـ اننى لم أضربها ، ولقد أعطيتها الفضة عندما طلبت ..

لكنه لا يستطيع أن ينسى ما قالته الطفلة . لقد أزعجته رغم أنه لا يعرف لماذا ، طالما أنه عندما يحاول تفنيد الموضوع يجد نفسه دائما زوجا طيبا نحوها ، افضل من كثيرين .

ولكن لأنه لا يستطيع التخلص من هذا الشعور نحوها ، ظل ينظر اليها وهى تحضر الطعام أو وهى تتحرك فى المنزل . وعندما انحنت لتكنس البلاط يوما ما رأى وجهها يتحول الى اللون الرمادى مع آلام داخلية، وفتحت شفتيها وتنفست بثقل ، ووضعت يدها على معدتها ، رغم انها لا زالت منحنية لتكنس .

فسألها بحدة :

ـ ما هذا ؟

ـ ولكنها أدارت وجهها وأجابت بانكسار :

ـ انه مجرد الألم القديم داخلى ٠

فنظر بتحجر اليها ، وقال لابنته الصغرى :

ـ خذى الفرشاة واكنسى لأن أمك مريضة !

قال لآو ـ لان بشفقة أكثر مما حدثها به لسنين طويلة :

ـ ادخلى وارقدى على فراشك ، سأخبر البنت ان تحضر لك ماء ساخنا !

وأطاعته ببطء بدون أن تجيب ، وذهبت الى حجرتها ، وسمع حركتها الثقيلة فيها ٠ ورقدت أخيرا وبدأت تبكى برفق ، وجلس مستمعا الى أن فقد القدرة على التحمل أكثر ، فنهض وذهب الى البلدة ليسأل عن طبيب ٠٠

أشار عليه كاتب فى محل تاجر الملال - حيث يعمل ابنه الثانى حاليا - الى مكانه .. كان الطبيب يجلس هناك متراخيا بجانب طاسة شاى ، كان رجلا عجوزا له لحية طويلة رمادية ، ونظارة كبيرة ، ويرتدى رداء رماديا متسخا ، وتغطى أكمامه الواسعة كل يديه. وعندما أخبره وانج لانج عن أعراض مرض زوجته ، ظهر بمظهر المتشكك وفتح درج المنضدة التى يجلس عليها ، وأخرج حزمة ملفوفة فى قماش أسود ..

وعندما جاء الى فراش أو - لان كانت قد غفت فى نوم خفيف ، وكانت هناك حبات من العرق على شفتها العليا . فهز الطبيب العجوز رأسه عند رؤية ذلك ، ومد يدا جافة صفراء كيد قرد ، وأمسك برسغها، وبعد فترة طويلة هز رأسه ثانية بوقار ، وقال :

- انها حالة صعبة . اذا كنت لا تتوقع وعدا بعلاج معين ، سأطلب عشر قطع من الفضة ، وسأعطيك دواء مصنوعا من النباتات ، ومن قلب حيوان مفترس وسن كلب . أجعلها تشربه .. ولكن اذا أردتنى أن أعدك بعلاج كامل فسأطلب خمسمائة قطعة من الفضة .

وعندما سمعت أو ـ لان كلمات « خمسمائة قطعة من الفضة » تنبهت فجأة من نومها ، وقالت بضعف :

ـ كلا ، ان حياتى لا تستحق هذا القدر ٠٠ انه ثمن قطعة أرض ممتازة !

وعندما سمعها وانج لانج تقول ذلك وخزه احساسه القديم بالذنب وقال بعنف :

ـ لن يكون عندى وفاة فى منزلى ! أستطيع دفع الفضة ٠ ولما سمعه الطبيب العجوز يقول « أستطيع دفع الفضة » برقت عيناه بجشع ، ولكنه كان يعرف عقاب القانون اذا لم يحافظ على كلمته ، وماتت المرأة ، لذلك قال فى أسف :

ـ كلا ، عندما نظرت الى لون بياض عينيها ، رأيت أننى كنت مخطئا ، يجب أن أحصل على خمسة آلاف قطعة فضية اذا وعدت بعلاج كامل ٠

نظر وانج لانج عندئذ الى الطبيب فى صمت ، وفهم ، فليس لديه هذا العدد من الفضة فى العالم ،

الا اذا باع أرضه ، ولكنه كان يعرف أنه حتى لو باع أرضه ، فلن تكون ذات فائدة ، وكان الطبيب قال : « المرأة ستموت » !

ولذلك خرج مع الطبيب ودفع له عشر قطع من الفضة للدواء • وعندما غادر الطبيب ، دخل وانج لانج الى المطبخ المظلم حيث عاشت أو ــ لان معظم حياتها •• والآن حيث انها ليست فيه ، فلن يراه أحد ، وأدار وجهه الى الجدار المسود ، وبكى دموعا مرة •

الفصل التاسع

ولكن ليس هناك نهاية فجائية للحياة فى جسد أو ... لان ، لأنها قد تجاوزت بالكاد منتصف العمر . ورقدت تموت على فراشـــها لعدة شـــهور طـوال الشتاء الطويل ، ولأول مرة عرف وانج لانج وأولاده ما فعلته بالمنزل . لقد حققت الراحة لهم جميعا وهم لا يعرفون ، وتبين لهم الآن أن أحدا منهم لا يعرف كيف يشعل الخشب ويحتفظ به مشتعلا فى الفرن .. ولا أحد يعرف كيف يقلب سمكة دون أن يقطعها .. ولا أحد يعرف فى أى زيت يحمر هذا الطعام أو ذاك . وقدم الولد الأصغر مع جده العجوز أفضـل ما لديه

ليؤدى عمل أمه ، أما البلهاء المسكينة فلا تدرى شيئا ، ولكنها تبتسم فقط وتلوى بقطعة قماشها وهى تبتسم ، ولا بد أن يفكر أحد فيها ليدخلها لتنام بالليل ويطعمها ويجلسها فى الشمس ويقودها الى الداخل اذاأمطرت، وتركوها ذات مرة فى الخارج طوال ليلة كاملة وأصبحت البنت المسكينة فى الصباح التالى ترتعش وتبكى ، وغضب وانج لانج ، وسب ابنه وابنته لأنهما نسيا أمهم البلهاء المسكينة التى هى أختهم ، ثم أدرك أنهم مجرد أطفال يحاولون ملء مكانة أمهم ولكن هيهات .. وبعد هذا الحادث أخذ يعتنى بالبلهاء المسكينة بنفسه مساء وصباحا .

لم يلتفت وانج لانج للأرض طوال اشهر الشتاء عندما كانت أو ـ لان راقدة تحتضر وترك شغل الشتاء وادارة الرجال لشينج الذى عمل باخلاص . وغالبا ماكان يجلس بجانب فراش أو ـ لان ، فاذا كانت تشعر بالبرد يشعل نارا صغيرة ، ولكنها كانت تقول كل مرة :

ـ لا داعى للتكاليف !

وأخيرا ، عندما قالت ذلك فى أحد الأيام ، انفجر قائلا :

ـ لا أستطيع تحمل ذلك ! سأبيع كل الأرض اذا كانت تشفيك

فابتسمت على ذلك وهمست بألم :

ـ كلا ·· لن أدعك تفعل ، لأننى يجب أن أموت ـ يوما ما ـ على أية حال ، ولكن الأرض ستبقى من بعدى··

ولم يتكلم عن الموت ، ونهض وخرج من الحجرة عندما تكلمت هى عنه · ومع ذلك ، لأنه يعرف أنها ستموت حتما وأنه يجب أن يتذكر واجبه ، فذهب فى يوم ما الى البلدة قاصدا محل صانع التوابيت · وقلب فى كل تابوت معروض للبيع،واختار افضلها وهو تابوت أسود مصنوع من خشب ثقيل وجامد · وعندئذ قال صانع التوابيت ببراعة :

ـ اذا أخذت اثنين فسيكون السعر أقل ، لماذا لا تشترى واحدا لنفسك !

فأجاب وانج لانج :

– كلا ، فأبنائي يمكن أن يفعلوا ذلك من أجلي .

ثم فكر في أبيه ، فليس لديه تابوت بعد للرجـــل الكبير ، وجاءته الفكرة :

– لكن هناك أبي العجوز ! سيموت في يوم مـا قريبا ، فساقاه بالكاد تحملانه ، كما أنه أصم وشبه أعمى . لذلك سآخذ اثنين .

وعده الرجل أن يصبغ كلا من التابوتين ثانيـــة باللون الأسود الجيد ، ويرسلهما الى منزل وانج لانج، ولقد أخبر وانج لانج أو – لان بما فعل . فسرت بأنه فعل ذلك وجهزها جيدا لوفاتها .

كان يجلس بجوارها ساعات عديدة كل يوم . لم يتكلما كثيرا ، لأنها كانت ضعيفة ، بالاضافة الى أنـه لم يكن بينهما حديث مطلقا . وبدأت تنسى أين هي ! وتهمس أحيانا بطفولتها ، ولأول مرة يرى وانج لانج ما بداخل قلبها ، رغم أنه كان من خلال كلمات قصيرة فقط مثل هذه :

ـ « سأحضر الطعام الى الباب نتظ » ٠٠ « أعرف جيدا أنني قبيحة ولا أستطيع الظهور أمام السيد الكبير » ٠٠ !

وقالت :

ـ لا تضربيني ٠٠ لن آكل من الطبق مرة ثانية !!

وقالت مرات ومرات :

ـ أبي ٠٠ أمي ٠٠ أبي ٠٠ أمي ٠٠ !!

و

« أعرف جيدا أنني قبيحة ولا يمكن أن يحبني أحد » ٠٠ !

وعندما قالت ذلك لم يتحمل وانج لانج ، فأخذ يدها وقبض عليها ٠٠ يدا كبيرة جامدة متحجرة وكأنها ماتت من قبل ٠٠ وأخذ يتعجب فى نفسه قبل كل شيء لأن ما قالته كان حقيقيا ٠ كان خجلا ، حتى عندما أخذ يدها ، راغبا بصدق أن يشعر بالحنان نحوها ، لأنه لا يستطيع أن يشعر بالحنان ولا بذوبان القلب مثلما تفوز به لوتس بحركة من شفتيها : وبسببه ذلك كان

عطوفا أكثر عليها ، واشترى لها أطعمة خاصة وأنواعا من الحساء الشهي المصنوع من السمك الأبيض وقلوب الكرنب الصغير ·

وكانت تأتي أوقات تعود فيها أو ـ لان لنفسها وتعي ما يحدث من حولها ، وسألت ذات مرة عن كوكو وعندما نادى وانج لانج المرأة في دهشة غريبة رفعت آو ـ لان نفسها من على فراشها واستندت على ذراع مرتعشة ، وقالت بصراحة كافية :

ـ حسن ، لقد عشت في بلاط السيد الكبير وكنت تعتبرين جميلة ، لكنني أصبحت زوجة رجل وأنجبت له أبناء ـ وما زلت أنت عبدة ·

وعند ما حاولت كوكو أن تجيب بحنق على ذلك ، أوقفها وانج لانج ، وقادها الى الخارج قائلا :

ـ انها لا تعرف معنى الكلمات الآن ·

وعندما عاد الى الحجرة كانت أو ـ لان لا تزال تسند رأسها على ذراعها وقالت له :

ـ بعد ما أموت فلا تدخل هي ولا سيدتها حجرتي

أو تلمس أغراضي ، واذا فعـــلا ، فسارســـل روحي لتلعنهما .

وفي يوم ما قبل السنة الجديدة تحسنت فجأة . تماما مثلما تحترق الشعلة بتوهج قبل ما تخبو مباشرة. وجلست في الفراش ، وضفرت شعرها بنفسها ،وطلبت شايا لتشربه ، وقالت : والآن السنة الجديدة قادمة ، ولا يوجد كعك جاهز ! .. لقد فكرت في شيء ، لكن ابق على هـــذه العبدة في مطبخي . وابعث الى البنت الموعودة لابننا الأكبر . لم أرها بعد ، ولكنها عندمـــا تأتي سأخبرها بما تفعل .

كان ليو تاجر الغلال راغبا ومقدرا كم كانت الحالة محزنة ، وعلى كل كانت البنت في السادسة عشرة من العمر ـ أكبر من بعضـــهن اللاتي يذهبن الى منازل أزواجهن ، وجاءت البنت مع خادم عجوز بقيت معهـــا لتساعدها .. ولم يتكلم وانج لانج مع البنت حيث لم يكن ذلك مناسبا . ولكنه كان يحني رأسه بوقار عندما تنحني له . وسر بها لأنها تعرف واجبها وتتحرك في المنزل بهدوء وبعيون خافرة . وكانت حريصة وصائبة

فى كل سلوكها · ودخلت أو ـ لان واعتنت بهـا · وخفف ذلك من أسف وانج لانج على زوجتـه ، فالآن توجد فتاة حول فراشها ، وأو ـ لان راضية تماما !

ثم فكرت فى شىء آخر ، وقالت لوانج لانج عندما دخل فى الصباح :

ـ هناك شىء آخر يجب عمله قبل أن أموت ·

فاجاب على ذلك بحنق :

ـ لا يمكن أن تتكلمى عن الموت وترضينى !

فابتسمت ببطء واجابت :

ـ يجب أن أموت ·· اننى أشعر به داخلى ، ولكنى لن أموت حتى يعود ابنى الأكبر ، ويتزوج هذه البنت الطيبة · اريد أن ياتى ابنى الى البيت ، لأننى يجب أن أموت بسهولة ، مدركة أن حفيدك يتحرك الى الحياة

كانت هذه كلمات كثيرة بالنسبة لها فى أى وقت حتى عندما كانت فى صحتها ، وقالتها بقوة أكثر مما

قالته في عدة شهور ،وابتهج وانج لانج للقوة فى صوتها وقال لها من غير ابطاء :

– حسن ، سنفعل ذلك . سارسل اليوم رجلا الى الجنوب ليبحث عن ابنى ويحضره للبيت ليتزوج وعندئذ تعدينى بأنك ستجمعين قواك وتتحسنين ، لأن المنزل اشبه بكهف للحيوانات بدونك .

قال ذلك ليدخل السرور عليها ، وأسرها ذلك بالفعل رغم أنها لم تتكلم ، بل اضطجعت ، وأغلقت عينيها مبتسمة قليلا .

وأخبر وانج لانج كوكو ان تهيىء وليمة ، وعليها أن تحضر طباخين من البلدة لمساعدتها ، وسكب الفضة فى يديها وقال :

– اعملى ما تقـوم به البيوتات الكبيرة فى مثـل هذه المناسبات . ولك فضة أكثر من ذلك !

وذهب الى القرية ودعا الضيوف ، ودخل البلدة، ودعا كل شخص يعرفه فى محل الشـاى ، وسـوق

الفلال ، واخبر عمه أن يدعو أيا من أصدقائه ، وأصدقاء ابنه ٠

وجاء ابنه الأكبر للبيت فى الليلة الســـــابقة للزواج ٠ ومرت أكثر من سنتين منذ آخر مرة رأى فيها هذا الابن ، وها هو ٠٠ لم يعد صبيا ، بل رجلا طويلا ، قوى البنية له جسم متين ووجه أحمر مشرق وشعر أسود قصير لامع ٠ كان يرتدى رداء حريريـا أحمر غامقا طويلا مثل المعروض فى محلات الجنوب ، ورداء أسود قصيرا من فوقه ، فتفجر قلب وانج لانج فخرا وهو يرى ابنه ٠٠ وقاده الى فراش أمه ، فوقفت الدموع فى عينى ابنه عند رؤيتها ٠ لكنه كان يقول ما يبهج فقط مثل :

« انك تبدين أفضل مرتين مما يقولون ، وبعيدة عن الموت بسنين طويلة » !

ولكن او - لان كانت تقول ببساطة :

- سأراك متزوجا ثم عندئذ يجب أن أموت !

والآن ، يجب بالطبع على البنت التى ستتزوج الا يراها الشباب ، لذلك اخذتها لوتس الى الجناح الداخلى لتجهيزها للزواج • ولا يستطيع أحد عمل ذلك افضل من لوتس ، وكوكو ، وزوجة عم وانج لانج • فأخذنها ثلاثتهن صباح يوم زفافها وغسلن جسمها ودلكت لوتس بدنها بزيوت حلوة الرائحة ، ثم قمن بتزيينها بالبودرة والطلاء الأحمر ، ورسمن بالفرشاة حاجبيها بخطين رفيعين ، ووضعن على رأسها تاجا وخمارا ، وألبسنها حذاء ملونا فى قدميها الصغيرتين• ووضعن عطرا على اطراف أصابعها • وهكذا أصبحت العروس جاهزة للزواج •• كانت الفتاة راغبة فى كل شىء بدون تلهف ، وهذا هو الصواب •

انتظر وانج لانج ، وزوجه وأبوه والضيوف فى الحجرة الوسطى،وجاءت الفتاة الصغيرة تسندها عبدتها وزوجة عم وانج لانج•وجاءت بتواضع وبطريقة صحيحة ومشت ورأسها محنى ، وكأنها غير راغبة فى الزواج وعليهم أن يساعدوها على ذلك • ويظهر هذا تواضعها الكبير ، ولقد سر وانج لانج وقال لنفسه :-

ـ انها فتاة مناسبة ٠

ثم دخل ابن وانج لانج الاكبر مرتديا ملابس حمراء وسوداء ، وكان شعره ناعما ، ووجهه محلوقا . ثم جاء أخواه الاثنان من خلفه ٠٠ وأحس وانج لانج وكأنه يكاد ينفجر فخرا على موكب أبنائه الذين عليهم أن يكملوا حياة جده من بعده ٠٠ وأدرك الرجـــل الكبير عنـــدئذ فجأة ما كان يحدث ـ وهو ما لم يكن يفهمه ـ واستطاع أن يسمع أجزاء قليلة مما يقـــال له بصوت مرتفع ، فأخذ يصرخ بضحكات مشروخة ، ويقول مرارا ومرارا بصوته الرفيع العجوز :

ـ عندنا زواج ! والزواج يعني أطفالا وأحفادا !!

وضـــحك من أعمـــاق قلبه ، حتى أن الضيوف جميعهم ضحكوا أيضـــا على فرحه ، وتخيل وانج لانج لو كانت او ـ لان تنهض فقط من فراشها ، لكان يوما سعيدا ٠

وكان وانج لانج ينظر سرا وبحدة الى ابنه طول الوقت ليرى اذا كان ينظـــر الى الفتاة ٠ فرآه يختلس



زواج الابن الاكبر لوانج لانج .

النظر اليها من طرف عينه ، وازداد مرحا فى سلوكه لذلك قال وانج لانج لنفسه بفخر :

ـ حسن ، لقد اخترت له واحدة يحبها !

وبعد ذلك ، انحنى كل من الشاب والفتاة للرجل الكبير ولوانج لانج ، وذهبا الى الحجرة التى ترقد فيها أو ـ لان ٠٠ واقتربا منها ، وانحنيا لها ٠٠ فوضعت يدها على الفراش وقالت :

ـ اجلسا هنا ، واشربا النبيذ ، وكلا أرز زواجكما ، لأننى يجب أن أرى ذلك ٠ وهذا سيكون فراش زواجكما ، حيث اننى سأنتهى منه قريبا ٠

لم يجبها أحد عندما قالت ذلك ، وجلس الاثنان بجانب بعضهما فى سكون ، ودخلت زوجة عم وانج لانج سمينة وتظهر بمظهر الشخص المهم بسبب المناسبة وتحمل طاستين من النبيذ الساخن ، فشرب الاثنان منفردين ثم خلطا نبيذ الطاستين وشربا ثانية ، وهى اشارة بأن الاثنين أصبحا واحدا الآن ٠ وأكلا

أرزا ثم خلطاه ، وهذه أيضا كانت اشارة بأن حياتهما قد اتحدتا ، وهكذا تزوجا . ثم انحنيا ثانيـة الى أو ـ لان والى وانج لانج وخرجا ، وانحنيا سـويا الى الضيوف .

وبدأت بعد ذلك الوليمة . لقد امتلأت الحجرات والســاحات بالموائد وبرائحـة الطبخ ، وبصـــوت الضحكات ، وأكل كل واحـد أكثر وأكثر وشرب كل ما يقدر عليه ، وكانوا جميعهم فرحين جدا .

وارادت أو ـ لان أن تبقى جميع الأبواب مفتوحة حتى تستطيع أن تسمع الضجة والضحك ، وتستطيع أن تشم الطعام . وكانت تقول وتكرر القول لوانج لانج الذي كان يدخل دائما ليراها :

ـ هل أخذ كل شخص نبيذا ؟ هل طبق الارز الحلو في منتصف الوليمة ساخن جدا ؟ !

هل وضـعوا فيه كثيرا من السـكر ، والفواكه الثمانية ؟ !

وعندما أخبرها بأن كل شيء كما كانت ترغب ، ارتاحت ورقدت سعيدة ..

وأخيرا انتهى كل شيء ، وذهب الضيوف ، وجاء الليل بالسكون فى المنزل ، وأتت نهاية البهجة والقوة فى أو – لان ، وازدادت تعبا وارهاقا ، ونادت اليها العروسين وقالت لهما :

– والآن ، أنا راضية . اعتن يا بنى بأبيك وبجدك .. ويا بنيتى اعتنى بزوجك وبحماك وجد زوجك ، اعتنى بالبلهاء المسكينة ، وليس عليك أى واجب تجاه أى أحد آخر .

كانت تعنى بذلك لوتس ، التى لم تكلمها مطلقا ، ثم بدت أنها سقطت فى نوم خفيف ، وتكلمت مرة أخرى ، ولكنها لم تكن تعرف أنهما بجانبها ، أو أين هى فى الحقيقة .. لأنها قالت وهى تدير وجهها الى هذا الجانب والى ذاك الجانب وعينيها مغلقتين :

– حسن ، ان كنت قبيحة فمع ذلك أنجبت ابنا ، رغم كونى مجرد عبدة حتى يوجد ابن فى المنزل .

ثم قالت ثانية فجاة :

ـ كيف ستطعمه هذه وتهتم به كما أفعل ؟ الجمال • لا ينجب للرجل أبناء !

عندئذ أشار وانج لانج لهما بأن يذهبا ، وجلس بجوارها ، وأثناء مراقبته لها فتحت عينيها فى اتساع ، ونظرت بصلابة اليه ، مثبتة عينيها عليه ، وكأنها تتساءل من هو ، ثم سقط رأسها فجاة للخلف ، وماتت !

كان وانج لانج مهتما أن يفعل كل شىء يجب فعله للميت • فقام بتفصيل ملابس بيضاء له ولأولاده ، وصنعت أحذيتهم من مادة خشنة بيضاء ، ولفوا حول أرجلهم شرائط من قماش أبيض ، وربطت النساء فى المنزل شعورهن بالأبيض ، ولكن ، وكان الموت لا يمكن مغادرة المنزل الذى أتاه مرة بسهولة ، اذ رقد الجد الكبير على فراشه فى احدى الليالى لينام ، وعندما جاءت البنت الثانية اليه فى الصباح وجدته يرقد على فراشه وذقنه العجوز الرفيع متجهـا الى أعلى فى

الهواء ، ورأسه ملقى للخلف فى الموت • فركضت صارخة لأبيها ، وجاء وانج لانج ، ووجد الرجل العجوز كما قالت •

فغسل الرجل العجوز بنفسه ، وأرقده بلطف في التابوت الذى اشتراه له ، وأغلقه عليه ، وقال :

ـ سندفن هذين الميتين من أسرتنا ، سآخذ قطعة طيبة من أرض عالية ، وندفنهما هناك سويا ، وعندما أموت سوف أرقد هناك أيضا •

واختار مكانا طيبا في حقوله تحت شجرة على تل ، وحفر شينج المقابر وشيد جدارا ترابيا حولها ، وكانت توجد مساحة داخل الجدار لجسد وانج لانج ولكل واحد من أبنائه وزوجاتهم ، كما توجد مساحة لأبناء الأبناء أيضا • ولم يعبأ وانج لانج بأنها أرض عالية وصالحة لزراعة القمح ، لأن ذلك علامة على أن أسرته مستقرة الحال على الأرض موتا أو حياة •• يرتاحون جميعا على صدر أرضهم •

وفي اليوم المحدد للجنازة عندما استعد الكهان ،

طلب وانج لانج كراسى من البلدة حيث لم يكن مناسبا أن يمشي الى محل الدفن كشخص عادى ورجل فقير ، وهكذا ركب لأول مرة على أكتاف الرجال ، واستأجر كراسي أيضـا لعمه ، وزوجة عمه وابنـه وللجميع ، وذهبوا الى المقابر باكين بصـوت مرتفع • بينما كان العمال وشينج يمشـون في الخلف مرتدين الأحـذية البيضاء •

وعنـدما وقف وانج لانج بجانب القبرين ، كان أسفه شديدا وجافا ، فلم يستطع أن يبكي كما فعل الآخرون •• لم تكن هناك دموع فى عينيه ، حيث بدا له ما حدث قد حدث ولا يوجد غير ذلك ليقوم به ، فلقد فعل كل شيء •• ولكن ، عندما غطيت القبور بالتراب ، ومهدت الأرض ، استدار فى صمت ، وأعاد الكراسى•• وعاد للبيت بمفرده ماشيا ••

وبرزت من خلال أسفه فكرة واحدة آلمته بشكل غريب . تمنى لو أنه لم يأخذ اللؤلؤتين من أو – لان ذلك اليوم ، عندما كانت تغسل ملابسه عند البركة !

واستمر وحيدا هكذا يفكر فى حزن **ويقول لنفسه :**

ـ هناك فى هذه الأرض التابعة لى ، دفن النصف الأول الطيب للحياة ٠ انه نصفى مدفون هناك ، والآن ٠٠ ستصبح الحياة مختلفة فى منزلى ٠ وفجأة بكى قليلا ، ثم جفف عينيه بظهر يده ، كما يفعل الطفل !

الفصل العاشر

وطوال تلك المدة ، لم يشغل وانج لانج فكره بالأرض والمحاصيل ، حيث كان مشغولا بحفل الزواج ثم بدفن أهل منزله ، **وجاءه شينج فى يوم ، وقال :**

ـ والآن ، وبعد أن مرت الافراح والاتراح ، على أن أخبرك عن الأرض ، وادعو السماء ان تمنع ما أقول اذ يبدو أنه سيحدث فيضان هذا العام لم يحدث مثله من قبل ، لان الماء يرتفع رغم ان الصيف لم يأت بعد، والوقت مازال مبكرا ليأتي بهذا الشكل .

فقال وانج لانج فى لهفة :

ـ فلنذهب لنري الأرض !

كان شينج رجلا بسيطا ، ومهما كانت الأزمان سيئة ، فلا يتجاسر ان يشكو ضد السماء ، كما يفعل وانج لانج ، **لذلك قال فقط :**

ـ هذه ارادة السماء !

وتقبل الفيضان والكارثة بانكسار ، أما وانج لانج فلا ·· خرج الى أرضه وتفقد هذه القطعة وتلك ، ورأى أنها كما ذكر شينج ·· كانت الترع كالأنهار تجرى بسرعة ومليئة · حتى الأبله يمكنه أن يدرك أن فيضانا رهيبا سيحدث هذا العام ، ويموت الرجال والنساء ثانية ، هذا رغم أن أمطار الصيف لم تأت بعد · ونظر الى الترع ومياهها الطافحة على ضفافها ، وأخذ يلعن كل شيء !

ولأن وانج لانج قد أصبح الآن غنيا ، فهو لا يبالى بأى شيء ، يغضب كيفما يشاء · وأخذ يشكو وهو

يمشي تجاه البيت ويفكر في الماء الذى سيفيض فـوق أرضه وفوق محاصيله الممتازة ٠

ثم حدث كل ما قاله شينج ، فاض النهر الشمالى من بين ضفتيه ، وحطم جسوره الترابية ، فلا يستطيع أحد الآن أن يعرف أين كانت تلك الجسور الممتدة على طول البلاد ٠٠ لقد فاض النهر ، تدفقت مياهه كأمواج البحر فوق جميع الارض الزراعية الطيبة ، وأصـبح القمح والارز الصغير في قاع هذا البحر ، واصـبحت القرى جزرا ، واحدة تلو الاخرى ، واخذ الناس يراقبون ويترقبون المياه وهى ترتفع ، وعندما أصبحت على مسافة قدمين من ابوابهم ، حزموا موائدهم وفرشهم وربطـوا أبواب منازلهم فيها ، ثم كوموا فوقها ما يقدرون عليه من أغراض مع نسائهم وأطفالهم أيضا وارتفعت المياه داخل المنازل الترابية فتصدعت جدرانهـا وانهـارت متباعدة ،وذابت غائصة في الماء ٠٠ وأصبحت وكأنها لم تكن من قبل !

وعندئذ اجتذب الماء الذى على الارض ماء السماء ٠٠ فأخذت تمطر يوما بعد يوم ٠ وجلس وانج لانج

بجانب بابه ، ونظر من فوق المياه . كانت بعيدة تماما عن منزله الذي بناه على التل ، لكنه رأى المياه وهي تغطي أرضه .. ولن تكون هناك أية محاصيل من أي نوع لذلك العام . وبدأت الناس تموت في كل مكان أو يتضورون جوعا . وكانوا حانقين لما حدث لهم ثانية . والتحق بعض الجسورين وغير العابئين بما يفعلون بعصابات اللصوص الذين انتشروا في كل مكان وذهب البعض جنوبا ليعمل أو يتسول ، كما ذهب وانج لانج مع عائلته ذات مرة ، وهناك آخرون كانوا كبارا في السن ، متعبين ، وليس لهم أبناء مثل شينج فبقوا وأكلوا العشب وأية اوراق يجدونها عند الاماكن العالية، وكثيرون منهم ماتوا جوعى ..

وأدرك وانج لانج عندئذ ، أن هناك أوقات عصيبة لم يشاهد مثلها في الارض . اذ لم تنحسر المياه مع وقت الزراعة الشتوية للقمح ، ومعنى ذلك أنه لن يوجد محصول للعام الثاني .

لذلك أخذ يتصرف بحرص في ادارة شئون المنزل وفي استخدام ماله وطعامه ولكن الناس من حوله كانت

نموت جوعا . وكان يعلم أن هناك كثيرين يكرهونه لأن لديه بعض الشيء ليأكله ويطعم أولاده . لذلك احتفظ ببواباته مغلقة بالمزلاج ، ولم يدع أحدا يدخل الى بيته دون أن يكون من الاشخاص المعروفين ..

وعندما مر الشتاء وكان بطيئا ، وانحسرت المياه استطاع وانج لانج أن يسير حول أرضه ، فحدث يوم ما أن تبعه ابنه الأكبر وقال له بافتخار :

ـ حسن ، سيأتى فم آخر بالمنزل ـ فم حفيدك !

فلما سمع وانج لانج ذلك التفت وضحك وقال وهو يدعك يديه :

ـ انه يوم طيب حقا ؟

وضحك ثانية وذهب يبحث عن شينج ، وأخبره أن يذهب الى البلدة ليشترى بعض السمك والطعام الجيد .. وارسله لزوجة ابنه قائلا :

ـ كلى .. واجعلى جسم حفيدى قويا !

كان علمه بذلك مدعاة لراحة له طوال الربيع ..
وعندما انقضى الربيع وحل الصيف ، عاد الناس الذين ذهبوا بسبب الفياضانات مرة ثانية ، برغم أنه لم يعد يوجد أى أثر لمنازلهم حاليا سوى الطين الأصفر المتخلف عن الأرض الغارقة ، ومع ذلك فمازال من الممكن اقامة المنازل ثانية من هذا الطين ويمكن شراء الحصير لتسقيفها .. وجاء رجال كثيرون ليقترضوا المال من وانج لانج وأقرضهم بفائدة مرتفعة مستغلا زيادة الطلب على نقوده .. وزرعوا الحبوب بالنقود التى اقترضوها فى الارض التى أصبحت غنية وخصبة بالطين الذى خلفته الفيضانات . وكان بعضهم يحتاج الى ثيران ، ومحاريث ولا يستطيعون اقتراض نقود أكثر ، فكانوا يبيعون جزءا من أراضيهم حتى يستطيعوا زراعة ما تبقى ، واشترى وانج لانج أراض كثيرة منهم .. باعوها رخيصة بسبب شدة احتياجهم الى المال .
ولكن هناك من لم يفرطوا فى أراضيهم ، وكانوا يبيعون بناتهم ، عندما لا يجدون مالا ليشتروا به الحبوب والمحاريث والثيران . وجاء بعضهم لوانج لانج ليبيعوا

له بناتهم لانه معروف بانه غنى ومع ذلك له قلب رجيم فاشترى خمس بنات حاسبا حساب الطفل القادم ، والاطفال الآخرين القادمين من ابنائه عندما يتزوجون جميعهم . وتم شراؤهن في يوم واحد لان الرجـــل الغنى قادر على أن يتم بسرعة ما يستقر الرأى عليه .

وعندما جاء الصيف وغاصت المياه ، فكان لابد من زراعة الارض ، فمشى وانج لانج هنا وهنـــاك وتفحص كل قطعة ، وناقش مع شينج نوعية تربة كل منها وتغير المحاصيل التى يجب أن تتم لصالح الأرض وكان يأخذ ابنه الثالث معه أينما ذهب ، وهو الابن الذى سيبقى فى الارض من بعده ، حتى يتعلم ، وكان ينظر ليرى أن كان الصبى منصتا أم لا ! وسار الصبى ورأسه منكسر ، ونظرة حنق مرسـومة على وجهه ، ولا أحد يعرف ما كان يفكر فيه . لكن وانج لانج يعرف فقط أنه يسير خلفه فى صمت . وعندما تم تخطيط كل شىء عاد وانج لانج الى منزله قائلا فى سريرته :

ـ لم أعد صغيرا ، لكن ليس من الضرورى أن

أعمل بيدى ، فلدى رجال يعملون فى الأرض ، وأبناء وسلام فى منزلى !

ومع ذلك عندما عاد الى منزله لم يكن هناك سلام فبالرغم من أنه أعطى ابنه زوجة ، واشترى عبدات كافيات لخدمتهم جميعا ٠٠ ورغم أنه اعطى عمه وزوجة عمه أفيونا كافيا لمزاجهم طول اليوم ، فلا يوجد هناك سلام ٠٠ وذلك بسبب ابنه وابن عمه ٠

وعندما دخل وانج لانج مع ابنه الاصغر ، انتحى ابنه الاكبر به جانبا وقال :

ـ لن اتحمل هذا الانسان ، ابن عمى فى هذا المنزل بعد ذلك بوقاحته وتسكعه بملابسه المفكوكة فى المنزل ، وعينيه دائما على العبدات ٠

ولم يضف الى ذلك جملة كان يريد أن يقولها :

ـ « انه أيضا يتطاول وينظر الى الجناح الداخلى على امرأتك » لأنه تذكر أنه نفسه قد اشتهى امرأة أبيه هذه ذات مرة ٠ ولا يصدق الآن أنه فعل ذلك أبدا

لأنها حاليا سمينة ، وكبرت فى السن . لقد كان خجلا من ذلك بشكل مرير ، لذلك ذكر العبيد فقط .

فقال وانج لانج بغضب :

ـ ألا توجد نهاية لمشـاكل الذكور والاناث فى منزلى ؟ هأنذا أتقدم في السن ، ويبرد دمي وأبدأ أخيرا فى أن أتحرر من الرغبـة ، وأحب قليـلا من السلام .. أيجب أن أتحمل رغبات وغيرة أبنائى الى الأبد ؟!

وبعد فترة صمت قصيرة صاح ثانية :

ـ ماذا تريدنى أن أفعل ؟

فأجاب الشاب بثبات :

ـ أتمنى أن نترك هذا المنزل ، ونذهب الى البلدة ونعيش ! فليس مناسبا أن نستمر فى عيشة الريف مثل الفلاحين العاملين . يمكننا أن نذهب ونترك عمى وزوجته وابنهما هنـا ، ونعيش فى المدينـة وراء البوابات .

وضحك وانج لانج بمرارة وباقتضاب ، وطرد فكرة الشاب من رأسه ، وكأنها لا تستحق الاعتبار ، **وقال وهو يجلس على المائدة وساحبا غليونه اليه :**

ـ هذا منزلى ، ويمكنك أن تعيش فيه أو لا تعيش فيه كما تشاء ٠٠ انه منزلى وهذه أرضى ٠٠ واذا لم تكن الأرض موجودة لمتنا جميعا من الجوع كما مات غيرنا ، ولا كنت تتبختر الآن فى ملابسك الفاخرة ٠٠ انها الارض الطيبة التى جعلت منك شيئا ما أفضل من ابن فلاح !

ونهض وأخذ يتمشى محدثا جلبة عالية ، ويبصق على الارض ويسلك سلوك الفلاح ، فهو بالرغم من اغتباط جانب منه لرقة ابنه ، الا أن الجانب الآخر يتقزز من ذلك تماما ٠

ولكن ابنه لم يكن مستعدا للاستسلام فقال :

ـ هناك منزل هوانج الكبير القديم ، فالجزء الامامى منه مملوء بعامة الناس ، ولكن البلاط الداخلى

مغلق وساكت ، يمكننا أن نستأجره ، ونعيش هناك في سلام • ويمكنك أن تأتى الى الارض مع اخـــى الاصغر ، ولا مدعاة لأن اغضب من هـــذا الكلب ابن عمى •

تأثر وانج لانج بكلمات ابنه ، عندما قال « منزل هوانج الكبير » •• اذ لم ينس مطلقا انه ذهب ذات مرة فى انكسار الى هذا المنزل العظيم ووقف خجلا فى حضور من كان يعيش هناك •• حتى حارس البوابة كان خائفا منه • لقد بقيت هذه ذكرى مخجلة له طول حياته • وكان يحس باستمرار أنه فى نظر الناس أقل من هؤلاء الذين يعيشون فى البلدة ، لذلك عندما قال ابنه « يمكننا ان نعيش فى المنزل الكبير » قفزت الفكرة الى عقله ، وكأنه يراها بالفعل أمام عينيه •

ـ يمكننى أن أجلس على ذلك المقعد حيث كانت تجلس السيدة الجليلة وحيث جعلونى أقف امامهـا مثل العبد • الآن ، يمكننى أن أجلس هناك ، وأنادى آخرين للامتثال أمامى !

ثم فكر ، وقال لنفسه ثانية :

ـ يمكنني أن أفعل ذلك اذا رغبت !

أخذ يلوك الفكرة وهو جالس فى صمت لا يجيب على ابنه ، ووضع التبغ فى غليونه ، وأشعله ، ودخن ، وحلم بما يمكنه عمله اذا رغب ‥ وهكذا كان يحلم بأنه يستطيع أن يعيش في منزل هوانـــج الذى كان بالنسبة له المنزل العظيم دائما !

ومع ذلك ، أصبح مستاء اكثر من قبل لتعطل ابن عمه ، فشدد الرقابة عليه وهو يتسكع فى كل مكان نصف عار ، ولاحظ أنه يلاحق البنات العبيد ببصره حقا **فقال :**

ـ لا أستطيع أن أعيش وهذا الطلب فى منزلى ،

لذلك عندما ذهب ذات يوم الى البلدة ليرى ابنه الثانى بسوق الغلال **قال له :**

ـ حسن ، يا ابنى الثانى ، ما قولك فيما يرغب فيه أخوك الأكبر ـ بأننا ننتقل الى البلدة الى المنزل الكبير ، اذا تمكنا من استئجار جزء منه ؟

لقد كبر الابن الثانى وأصبح الآن شابا ناعما مرتبا مثل جميع الموظفين بالمحل ، ولا يزال صغير الحجم أصفر البشرة حاد العينين ، **فأجابه برقة :**

ـ انها فكرة ممتازة ، انها تناسبنى جيدا ، اذ يمكننى الزواج وتعيش زوجتى هناك أيضا ، ونستطيع جميعا أن نكون تحت سقف واحد كأى أسرة كبيرة •

لم يبذل وانج لانج اى جهد لزواج الابن الثانى الذى لم يطلبه ، وكان لدى وانج لانج الكثير ليشغله ، **فقال فى شىء من الخجل ، لانه لم يساعد هذا الابن الثانى كما يجب :**

ـ لقد قلت لنفسى من مدة طويلة بأنك يجب أن تتزوج ، ولكن بسبب هذا وذاك من الأمور لم يكن لدى الوقت ، ومع أزمة المؤن الأخيرة ، كنا نتجنب الاحتفالات جميعها •• ولكن الآن لابد للناس أن تأكل ثانية وتفرح !

ـ حسن ، سأتزوج اذن ، فمن حق الرجال أن يكون لهم أبناء ، لكن لا تجلب لى زوجة من بيوت

البلدة مثل أخي ، لانها ستتكلم دائما عما كان في منزل ابيها ، وتجعلني أنفق كثيرا ، وهذا سيغضبني ·

استمع وانج لانج لذلك في دهشة ، لانه لم يعرف أن زوجة ابنه تتكلم هكذا ، ولكنه كان مسرورا لفطنة ابنه · فتأمله ، فرأى شعره الناعم مصففا براقا وملابسه نظيفة ومن الحرير الرمادي ، ورأى حركاته المرتبة وعيونه الكتومة الثابتة ، **فقال لنفسه في اندهاش :**

ـ انه ابني أيضا !

ثم قال بصوت عال :

ـ أي نوع من البنات تحب اذن ؟

عندئذ اجاب الشاب برقة وثبات وكأنه مخطط لذلك من قبل :

ـ أرغب في فتاة من قرية ، من أسرة طيبة ذات أرض ·· فتاة ليس لها أقارب فقراء ، لا بالقبيحة

ولا بالجميلة ، حتى ينظر اليها غيرى ، ولكن طباخة ماهرة ، واذا كان هناك خدم فى المطبخ فيمكنها أيضا مراقبتهم ٠٠ واذا اشترت أرزا فيجب أن يكون كافيا دون زيادة ٠٠ واذا اشترت قماشا ، فيجب أن يـكون على قدر التفصيل حتى أن قصاصات القماش المتبقية يجب الا تزيد عن كف يدها فقط ٠٠ هذه هى الفتاة التى أريدها !

لقد اندهش وانبج لانج أكثر عند سماعه لذلك ! ها هنا شاب لا يعرفه ! انه ليس الدم الذى كان يجرى فى جسده عندما كان صغيرا ، ولا فى جسد إبنـه الأكبر ، ومع ذلك أعجب بادراك الشـاب ، وقال ضاحكا :

– حسن ، سأنقب عن فتاة من هذا النوع !٠٠ سيبحث عنها شينج بين القرى !

وذهب وهو لا يزال يضحك ، واتجه فى طريقه الى المنزل الكبير ٠٠ وتردد بين تماثيل الحيـوانات

الحجرية ، ووقف أمام البوابات الكبيرة ، ثم دخل حيث لم يجد من يوقفه • كانت الاشجار معلق عليها الغسيل المنشور ، والنساء تجلس فى كل مكان ، يتحدثن وهن منهمكات فى أعمال الخياطة ، والاطفال تتدحرج فى تراب الافنية ، وامتلأ المكان برائحة العامة من الناس الذين تدفقوا الى أفنية البيت الكبير عندما رحل الرجل الكبير •• وكان يشعر بنفسه واحدا من عامة الناس هؤلاء ، قديما ، عندما كانت الاسرة الكبيرة موجودة • أما الآن فهو ينظر لهؤلاء الناس المتجمهرين نظرة متدنية وكأنه ينتسب الى المنزل الكبير ، أن لديه الآن أرضا وفضة مخبأة فى أمان •

ومشى عبر الافنية ، الى أن وجد خلف بوابة مغلقة ، امرأة عجوز نصف نائمة ، انها زوجة الرجل الذى كان حارسا للبوابة ، ذات الوجه المجدر • لقد تذكرها عندما كانت سمينة فى منتصف العمر أما الآن فهى بيضاء الشعر ، وأسنانها سائبة فى فكها وعندما نظر اليها رأى فى لحظة واحدة ، كيف تتزاحم

السنين وتركض مسرعة منذ أن كان شابا قادما بمولوده الأول بين ذراعيه ، فشعر وانج لانج بالفخر يزحف عليه وقال بنبرة حزينة للمرأة المسنه :

ـ استيقظي ودعيني أدخل عبر البوابة !

ـ لن أفتحها الا لهؤلاء الذين قد يستأجرون الأجنحة الداخلية ٠

ـ حسن ، سأفعل اذا أعجبني المكان ٠٠

ولكنه لم يخبرها من هو ٠ ودخل من ورائها ٠٠ وتذكر الطريق جيدا ٠٠ كانت الاجنحة غارقة في السكون ، ورأى الحجرة الصغيرة التى ترك فيها سلة وليمة زواجه ، ثم الممر الطويل المدعم بالخشب الاحمر ٠٠ وتبعها الى القاعة الكبرى نفسها ، ورجع ذهنه بسرعة عبر السنين الماضية ، عندما وقف هناك منتظرا أن يتزوج عبدة من المنزل ٠ ورأى أمامه الكرسى المزين الكبير حيث كانت تجلس السيدة الكبيرة ، وجسمها الدقيق كان ملفوفا فى حرير رمادى مفضض

.. وتقدم متأثرا بخيال غريب .. وجلس حيثما كانت تجلس .. ونظر من علياته الى وجه السيدة العجوز، التى كانت تنتظر فى صمت لترى ما سيفعله .. ثـم انتفخ قلبه ببعض الرضا الذى اشتاق اليه طـوال هذه الأيام دون أن يعرف كنهه .. **فضرب المنضـدة بيده وقال فجاة :**

- سأمتلك هذا المنزل !!

الفصل الحادى عشر

عندما كان وانج لانج يعقد النية على شىء فى هذه الأيام ، لا يستطيع أن يقوم بتنفيذه بسرعة كافية ، فكلما كبر فى السن قل تحمسه فى انهاء الأمور ، ويكتفى بالجلوس فى الشمس فى سلام أو ينام قليلا بعد ما يمشى حول أرضه • لذلك أخبر ابنه الأوسط بما عقد عليه العزم ، وأمره أن يرتب الموضوع • وفى اليوم الذى أتموا فيه استعدادهم انتقلوا الى البيت •

بعد ذلك تحرك وانج لانج وأخبر شينج بالبحث عن فتاة لابنه الثانى ليتزوجها • لقد بدأت علامات

الكبر والضعف تظهر على شـــينج ، ولكن لا يزال مخلصا كالكلب العجوز • ولا يدعه وانج لانج حاليـا يرفع العزاقة أو يتبع الثيران خلف المحراث ، ولكنـه كان مفيدا ، حيث يرقب الآخرين أثنـاء العمل ويقف بجانبهم أثنـاء وزن وكيل الحبوب ، وعندما سـمع ما يريده وانج لانج ، اغتســـل وارتدى رداءه القطنى الأزرق ، وسار بين القرويين ، وشاهد فتيات كثيرات ثم عاد فى النهاية قائلا :

ـ توجد فتاة بعد ثلاث قرى •• فتاة طيبـــة وقوية وحريصة ، ليس فيها عيب سوى أن ضحكتها جاهزة •• وسيكون أبوها سعيدا لو ارتبط بعائلتك عن طريق ابنته ، وهو يمتلك أرضا ولـــكنى قلت أننى لا أستطيع أن أعطى وعدا حتى تعطيه لى •

بدا ذلك لوانج لانج طيبا بما فيه الكفـــاية ، وتلهف لانهاء هذا الموضوع ، لذلك أعطى وعده ، وعندما جاءت أوراق الزواج ، مهرهـــا بخاتمه ، وفكر قائلا لنفسه :

ــ والآن ، لا يوجد سوى ابنى الثالث ، وانتهى من الزواج كله ، وأصبح سعيدا لقربى من راحة بالى ٠

وعندما تم ذلك ، وتم ترتيب يوم الزواج ارتاح فى الشمس ونام ، كما فعل أبوه اراءه ٠

وفى هذه الاثناء ، أصبحت الآلهـــة رحيمة ولو لمرة ، ورتبت السلام اعتبارا لسنه الكبير ٠ اذ سمع من ابن عمه ، الذى ازداد ضجرا ، بأن هناك حربا فى الشمال فقال لوانج لانج :

ــ يقال أن هناك حربا فى الشمال ٠٠ سأذهب لألتحق بها لعلى أرى جديدا ٠٠ اعطنى فضة لأشــترى مزيدا من الملابس ، وبعض ملايات للسرير ، وبندقية أجنبية لأضعها على كتفى !

قفز قلب وانج لانج عندئذ من الفرحة ، ولكنــه أخفى ذلك ، وقال :

ــ ولكنك الابن الوحيد لعمى ، وبعدك لا يوجد أحد ليحمل مسئولية عائلته ، واذا ذهبت الى الحــرب ماذا سيحدث ؟

ـ حسن ، انني لست أبلها ، لن أبقى فى أى مكان يكون خطرا على حياتى ، فاذا حدثت معركة ، فسأبتعد حتى تنتهى . انى أريد التغيير .. أريد السفر ومشاهدة الأماكن الأخرى قبل أن أكبر على فعلها .

فاعطاه وانج لانج الفضـــــة بكل سرور ، قائلا لنفسه :

ـ اذا أحبها ، فستكون نهاية لهذه اللعنة التى فى منزلى .

ثم أضاف :

ـ ودائما ما توجد حرب فى مكان ما فى البلاد ، وربما يقتل ، اذا دام حظى السعيد ، لأن هناك كثيرين يموتون أثناء تلك الحروب .

وشعر بالابتهاج عندئذ برغم أنه لم يظهر ذلك ، بل طيب خاطر زوجة عمه عندما بكت قليلا حين سماعها بذهاب ابنها للحرب ، وأعطاها بعض الأفيون ، وأشعل غليونها لتدخنه ، **وقال :**

ـ لا شك أنه سيترقى ويصبح ضابطا عظيما فى الجيش وسيعمنا جميعا الشرف !

تعود وانج لانج حاليا على أكل الأطعمة الشهية وهو الذى كان فى قناعة تامة برغيف قمح طيب ملفوف حول فصوص الثوم ، كما تعود على أن ينام حتى منتصف النهار ، ولم يعد يعمل بيـــديه ! ولم يزايله التعجب مطلقا من أنه يعيش حاليا مع زوجته وأبنائه ، وزوجاتهم كما سيولد طفل لابنه فى نفس البيت الكبير الذى كانت تعيش فيه عائلة هوانج العظيمة !

وسمع صباح أحد الأيام صرخات امرأة ، فذهب الى الجناح الخاص بابنه الأكبر الذى قابله قائلا :

ـ لقد جاءت الساعة · وكوكو تقول انها ستطول · وأنها ستكون ولادة عسيرة !

فعـاد وانـج لانـج الى جناحه وجلس يتسـمع للصرخات · وخاف لأول مرة منذ سنين عديدة ، وأراد المســـاعدة من روح طيبة ، فنهض وذهب الى محل

البخور ، ورغم انه كان يوما حارا كثيف الغبار ، الا أنه عرج على المعبد الصغير بالريف ، حيث يجلس الالهان يراقبان الحقول والأرض ، **ووضع أعواد البخور بعد أن أشعلها قائلا :**

ـ لقد اعتنينا بكما ، أبى ، وانا ، وابنى ، وها هى تأتى ثمرة ابنى ·· فاذا لم يكن ولدا ، فلن أعطيكما شيئا على الاطلاق !

وبعد ما قام بكل ما يقدر عليه ، عاد الى المنزل متعبا جدا ، فجلس الى المائدة ، وأراد عبدة لتحضر له شايا ، وأخرى لتحضر له ماء ساخنا ليغسل وجهه ، فصفق بيديه ، ولكن لم يأت أحد · وكان هناك شيء من الهرج والمرج ، وبقى كما هو متعبا مغبرا ، لا ينظر اليه أحد ·

وفى النهاية عندما بدا له أن الليل قد اقترب ، جاءت لوتس على قدميها الصغرتين مستندة على كوكو بسبب وزنها الكبير ، **وضحكت وقالت بصوت عال :**

ـ حسن ، لقد هل ابن فى منزل ابنك ، وهو وأمه فى حالة جيدة ، لقد رأيت الطفل انه رائع !

فضحك هو أيضا ، ونهض وضرب بكفيه ، **وضحك ثانية وهو يقول :**

ـ وأنا جالس هنا مثل رجل يولد له ابن لأول مرة ولا يدرى ماذا يفعل !

وعندما ذهبت لوتس الى حجرتها فكر فى سريرته:

ـ كنت أخاف هكذا عندما وضعت أو ـ لان أول ابن لى ٠

وتذكر ذلك اليوم ٠٠ وكيف ذهبت أو ـ لان بمفردها الى الحجرة الصغيرة المظلمة ٠٠ وكيف وضعت له بمفردهـا أبناء وبنات ٠٠ وضعتهم فى صمت ٠٠ وكيف خرجت الى الحقول واشتغلت بجانبه مرة أخرى ، ومع ذلك فها هى واحدة الآن ، زوجة ابنه التى صرخت مثل الطفل من آلامها ٠٠ ولديها جميع العبيد من النساء يركضن فى أرجاء المنزل وزوجها يقف على بابها ٠٠

وتذكر كما يذكر الانسان حلما مضى عليه زمن طويل ، كيف ارتاحت أو ـ لان من عملها ، وأطعمت الطفل وهى جالسة على الأرض فى وهج الشمس • بدا ذلك الذى حدث منذ زمن طويل ، وكأنه لم يحدث على الاطلاق !

ثم جاء ابنه مبتسما وكأنه شخص مهم ، وهو يقول بصوت عال :

ـ ولد يا أبى ، والآن ، يجب أن نجد امرأة لترعاه، لأننى لا أريد أن أضيع جمال زوجتى ولا أدعها تفرط فى بهائها حين تقوم بذلك !

فقال وانج لانج بحزن ، رغم أنه لا يدرى لماذا هو حزين :

ـ حسن ، اذا كان يجب فعل ذلك فليكن كذلك ! •• اذا لم تستطع أن ترعى طفلها !

وعندما أتم الطفل شهرا من عمره ، أقام الأب وليمة ، ودعى جميع الكبار بالبلدة ، وأمر بتجهيز عديد من البيض الأحمر ، وقام بتوزيعه على كل ضيف ، وعم الفرح والاحتفال المنزل كله •

ولكن ، وكأن الآلهة لا تستطيع تقديم هدية بدون أن تخفي شيئا تلسع به ، اذ جاء رجل يركض عبر الحقول ليخبر وانج لانج أن شينج يحتضر ، ويطلب أن يراه قبل أن يموت فصاحت لوتس بأن ينتظر حتى تغرب الشمس ، ولكنه لم ينتظر ، وخرج فى الحال ، وعندما رأت لوتس أنه لم يلتفت اليها أرسلت عبدة من ورائه بمظلة من الورق المزين برسوم الالوان الزيتية ، ولكن وانج لانج هرول مسرعا لدرجة أن العبدة السمينة وجدت صعوبة فى الامساك بالمظلة فوق رأسه ، **وعبر الحقول الى الحجرة التى يرقد بها شينج وسأل :**

ـ كيف حدث هذا ؟

كانت الحجرة مملوءة بالعمال ، **وأجابوا فى ارتباك وعجلة :**

ـ كان يريد أن يعمل بيديه ...

ـ قلنا له لا تعمل !

ـ لقد جاء عامل جديد ...

ـ وكان شينج يريد أن يعلمه ...

ـ العمل قاس على رجل كبير فى مثل سنه ..

صرخ وانج لانج عندئذ بصوت رهيب :

ـ آتونى بهذا العامل !

فدفعوا بالرجل أمامه ، فوقف مرتعدا ، وركبتاه العاريتان تتخبطان فى بعضهما .. كان مجرد صبى ضخم ، ريفى خشن ، أسنانه بارزة فوق شفته السفلى ، وعيناه مستديرتين غبيتين مثل عينى الثور . ولم يكن لدى وانج لانج أى شفقة نحوه ، فصفع الصبى على خديه ، ثم أخذ المظلة من يد العبدة وضربه بها على أم رأسه ، ولم يجرؤ أحد أن يوقفه . وتحمل الصبى الريفى وامتثل فى انكسار ، يصيح قليلا ويمص أسنانه كثيرا .

وعنـدئذ صرخ شينج من الفراش حيث يرقد ، **فالقى وانج لانج المظلة قائلا :**

ـ يموت الرجل ، وأنا أضرب أبلها !

فجلس وأخذ يد شينج ، وأمسك بها .. كانت خفيفة كورقة شجر جافة ، لا يمكن أن يصدق أن الدم كان يجرى فيها . وكانت عينا شينج النصف مفتوحتين تبدوان كعينى الكفيف ، وانحنى وانج لانج عليه **وقال بصوت عال فى اذنه :**

ـ أنا هنا ! سأشترى لك تابوتا ، مثل تابوت أبى !

ربما سمعه شينج ، فهو لم يبد أى اشارة ، ولكنه ظل راقدا يتنفس بصعوبة .. وهكذا مات !

وعندما مات انحنى وانج لانج عليه وبكى كما لم يبك أباه .. وطلب تابوتا من أفضل الأنواع ، واستأجر الكهان للدفن ، وسار فى الخلف مرتديا الملابس البيضاء . وأمر ابنه الأكبر بارتداء الشرائط البيضاء حول ساقيه ، وكأن الميت أحد اقربائه ، برغم أن ابنه تذمر قائلا : انه مجرد خادم مقرب اليك ، وليس من المناسب عمل ذلك من أجل خادم . وأخبره وانج لانج بذلك لمدة ثلاثة أيام ، واذا كان له ما أراد لكان دفنه

داخل الجدار الترابى حيث دفن أبوه أو ـ لان ..

ولكن ابناءه لم يسمحوا بذلك ، واشتكوا قائلين :

ـ هل سترقد أمنا وجدنا مع خادم ؟ ونحن أيضا عندما يأتى أجلنا ؟

لذلك دفنه وانج لانج عند مدخل الجدار ، لأنه لم يقدر على المشاحنة معهم وهو ينشد السلام بالمنزل ، وارتاح لما فعله وقال :

ـ انه يستحق ، لأنه كان دائما حارسى الأمين ضد الشر !

وطلب من أبنـائه أن يرقدوه بالقرب من شينج عندما يموت .

لم يفكر وانج لانج مطلقا أن يسأل ابنه الأصغر فيما يرغب أن يفعله بحياته ، لأنه كان قد قرر أن يظل أحد أبنائه فى الأرض ولم يكن هذا الابن يشبه أخويه ولكنه كان صامتا كأمه ، ولأنه كان صامتا ، فلم يفكر أحد فيه كثيرا .

وفى احدى الليالى جاء الابن الثالث ، ووقف أمام أبيه ، ونظر اليه وانج لانج ، فرأى فيه شابا طويلا نحيفا ، لا يشبه أباه ولا أمه ، سوى أن لديه جدية أمه وصمتها ، ولكن فيه جمال أكثر مما كان فى أمه . كان فيه جمال اكثر من أى من أبنائه ، ما عدا البنت الثانية التى ذهبت الى أسرة زوجها ، ولم تعد تنتمى لمنزل وانج ، ولكن لديه حواجب سوداء ثقيلة وظاهرة فى وجهه الشاحب الصغير . وعندما يغضب ، وكان من السهل اغضابه ، يلتقى هـذان الحاجبـان سويا ويصبحا خطا ثقيلا مستقيما عبر وجهه .

ـ ان أخاك الأكبر يقول انك تريد أن تتعـلم القراءة !

ـ أجل .

فهز وانج لانج الرماد من غليونه ، ودفع وحشاه بتبغ جديد ، وقال بمرارة :

ـ معنى هذا انك لا تريد أن تعمل فى الأرض ،

ولن يكون لدى ابن يعمل فى الأرض ، أنا .. ولدى الأبناء بوفرة !!

ولكن الصبى لم يقل شيئا ، وظل واقفا مستقيما ثابتا فى ردائه الصيفى الأبيض الطويل ، **حتى ثار وانج لانج اخيرا من صمته وصاح فيه :**

ـ لماذا لا تتكلم ؟ هل حقا انك لا تريد أن تبقى لتعمل في الارض ؟

فأجاب الصبي ثانية بنفس الكلمة الواحدة :

ـ أجل !

فقال وانج لانـج لنفسـه وهو ينظر اليه ، ان هؤلاء الأبناء من الصعب عليه أن يتحملهم فى سنه الكبير ، انهم مصدر ازعاج له ، ولا يدرى ماذا يفعله معهم ، **وصاح ثانية وهو يشعر بسوء معاملتهم له :**

ـ وماذا يهمنى ما تفعله ؟ أغرب عن وجهى !

فذهب الصبى بهدوء ، وجلس وانج لانج بمفرده حتى حل الظلام .

وفعل كما كان يفعل دائما ، عندما ينتهى حنقه يترك أبناءه تفعل ما تريد ، **فنادى ابنه الاكبر وقال :**

ـ ابحث عن مدرس للابن الثالث ، اذا أراد واحدا، ودعـه يفعل ما يحلو له ، ولا أريد أن يزعجنى أحد بخصوص ذلك .

ونادى ابنه الثانى وقال :

ـ طالما أنه لن يكون لى ابن يعمل فى الأرض ، فمن واجبكم أن تراعوا الايجار ، والفضة التى تأتى من الأرض عند كل محصول ، ويمكنك أن تزن وتحسب وتدير كل شىء لى .

ابتهج الابن الثانى ، لأن ذلك معناه أن النقود ستمر من بين يديه ، وسيعرف كم دخل ، وسيشكو لأبيه لو أنفقوا أكثر من اللازم فى المنزل . كان الا ن الثانى يبدو غريبا لوانج لانج عن أى من أبنائه الآخرين،

فهو حريص على النقود التى تنفق على الطعام والنبيذ حتى مع اقتراب يوم زواجـه · وفرق بين الموائد ، واحتفظ بأفضل الأشياء لأصـــدقائه من البلدة الذين يعرفون تكالفة الأطباق ، بينما أهل الريف الذين كان من الواجب دعوتهم فقد أعطاهم أشـياء درجة ثانيـة وراقب النقوط والهـدايا التى جاءت . وأعطى الشيء القليل للعبيد والخدم · وكانت كوكو حانقة عندما وضع فى يدها قطعتين بائستين من الفضة ، **وقالت على مسمع الكثيرين :**

ـ العائلة العظيمة حقا لا يمكن أن تكون حريصة على فضتها هكذا ؟ يستطيع الانسان ان يقول أن هذه العائلة تنتمى بجدارة لمثل هذا البيت الكبير !

وسمع الابن الاكبر ذلك ، فخجل وأعطاها مزيدا من الفضة سرا ، لأنه يخشى لسانها ، وكان غاضبا من أخيه ، وهكـذا كانت بينهما منـازعات حتى فى يوم الزواج نفســه ، وكان الضيوف قـد جلســوا حول الموائد · لقد دعا الابن الأكبر عددا قليلا من أصدقائه

للحفل ، لأنه كان خجلا من اختيار أخيه لفتاة قروية ، قائلا :

ـ لقد اختار أخي اناء مصنوعا من الطين ، بينما كان يمكنه أن يحصل على كأس من الذهب !

وانحنى بتكبر وازدراء عندما جاء الاثنان ينحنيان أمامه • وكانت زوجته تنحنى أقل ما يمكن حتى لا تؤخذ عليها لومة لائم

ولم يعد هنــاك أحــد من بين كل هؤلاء الذين يعيشون فى هذا البيت يتمتع بالراحة والسلام ، فيما عدا الحفيد الصغير • فوانج لانج نفسه الذى ينام فى فراش وثير يســـتيقظ أحيــانا ليتمنى أن يعـــود الى المنزل البسيط ذى الجدران الترابية ، حيث يستطيع الانسان أن يلقى بالشاى البارد دون أن يتلف الغالى من الأثاث ، وحيث تأخذه خطوة واحدة الى حقوله • وبالنسبة للأبناء فهناك دائما منغصات كثيرة ، فالابن الأكبر قلق بخصوص المظهر • فاذا لم ينفق بما فيه الكفاية فسيبدون عديمى الأهمية فى عيون الناس ،

والابن الثاني قلق بسبب النقود الكثيرة التي تطير ..
والابن الثالث يحاول أن يلحق ما فاته بعد السنين التي
فقدها كابن فلاح ..

لكن هناك شخصا يركض هنا وهناك بشكل غير
مستقر ، راض بحياته .. انه ابن الابن الأكبر .. لم
يفكر أبدا في أي مكان آخر سوى منزله العظيم .. لم
يكن بالنسبة له كبيرا ولا صغيرا ولكن مجرد منزله ..
هنا أمه وأبوه ، وجده .. وجميعهم يعيشون فقط
ليخدموه .. ومنه يحصل وانج لانج على السلام ، لم
يكن يشبع من مراقبته ، والضحك معه ، والتقاطه
عندما يسقط .

وفرح وانج لانج أيضا عندما أنجبت زوجة ابنه
الثاني في موعدها ، وأنجبت بنتا . وفي غضون خمس
سنوات أصبح لديه أربعة أحفاد ، وثلاث حفيدات ،
وامتلأ البيت بضحكاتهم ودموعهم .

وأخذ الموت عمه في هذه السنة ، وهو الذي نسيه
تقريبا ، الا في الاطمئنان على أنهم قدموا له وزوجته

العجوز الطعام والكساء ولديهما ما يريدان من الأفيون ، وجعل وانج لانج الأسرة كلها ترتدى الملابس البيضاء ٠٠ وليس بسبب أن أحدا منهم حزين حقا بموت هذا الرجل الذى لم يكن سوى مصدر ازعاج لهم ، ولكن لأنه من اللائق عمل ذلك فى العائلات الكبيرة ، عندما يموت قريب لهم ٠ ثم أعطى وانج لانج لزوجة عمه حجرة فى طرف أحد الأجنحة ، حيث تمص غليون الأفيون وترقد فى فراشها فى رضا تام ٠٠ فهى نائمة طوال الوقت ، وتابوتها بجانبها حيث يمكن أن تراه ليريحها منظره ٠

واندهش وانج لانج عندما تذكر أنه قد خافها فى وقت ما كامرأة ريفية سمينة ضخمة كسولة ومزعجة ٠٠ وها هى الآن ترقد جافة ممصوصة صفراء ٠٠ !

الفصل الثانى عشر

كان وانج لانج يسمع بالحرب هنا وهناك ، لكنه لم يرها مطلقا عن قرب ، الا التى رآها عندما فر هاربا الى المدينة الجنوبية ، عندما كان صغيرا . ولم تقترب منه أكثر من ذلك ، برغم أنه كثيرا ما سمع الرجال يقولون منذ أن كان طفلا :

ــ الحرب فى الغرب هذه السنة ..

أو :

ــ الحرب في الشرق ..

أو :

ــ فى الشمال الشرقى ..

وكانت الحرب بالنسبة له مثل الأرض أو السماء ·· لماذا تكون ·· أو لماذا تنشب ؟ ·· لا أحد يعرف ! ·· يعرفون فقط أنها موجودة ·· ومن حين لآخر يسمع الرجال يقولون :

ـ سنذهب للقتال ··

ويقولون ذلك عندما يتضورون جوعا ، فمن الأفضل أن يكونوا جنودا عن أن يكونوا متسولين ·· أو يقولها الرجال أحيانا ، عندما يكونوا ضجرين فى بيوتهم ، مثل ابن عمه ·· ولكن الحرب كانت بعيدة دائما ، فى مكان سحيق ·· وفجأة اقتربت ·· كريح من السماء غير متوقعة ··· !

سمع وانج لانج عنها أول الأمر من ابنه الثانى ، الذى أتى من السوق فى أحد الأيام لوجبة منتصف النهار وقال لأبيه :

ـ لقد ارتفع سعر الغلال فجأة ، لأن الحرب فى

جنوبنـا الآن ، وتقترب كل يوم · يجب أن نحتفظ بمخازن غلالنا الى حين ، سيرتفع السعر ، ويرتفع كلما اقتربت الجيوش الينا · وعندئذ يمكننا أن نبيع بسعر جيد ·

أنصت وانج لانج الى ذلك ، وهو ياكل فقال :

ـ حسن ـ انها مثيرة للفضول ، سأكون سعيدا أن أرى ما هى الحرب على حقيقتها ؛ لأننى أسمع عنها طول حياتى ولم أرها ·

وتذكر انه خاف ذات مرة من أن يقبض عليه ضد رغبته ، لكنه أصبح الآن عجوزا لا يصلح · بالاضافة الى أنه غنى ·· والأغنياء لايخافون شيئا ، لذلك لم يلق بالا للموضوع بعد ذلك ، وأخذ يلعب مع أحفاده ، وينام ، ويذهب أحيانا ليرى بلهـاءه المسكينة التى تجلس فى ركن منزو من البيت ·

وفى يوم ما فى أوائل الصيف ، جاءت جمهرة كبيرة من الرجال كسحابة كاسحة من الجراد · ووقف

حفيده وانج لانج الأكبر عند البوابة مع رجل من الخدم ، ليرى ما يحدث فى هذا الصباح المشمس الجميل ، وعندما رأى الصفوف الطويلة للرجال ذوى الملابس الرمادية ، ركض عائدا الى جده وصرخ قائلا :

ـ تعال ، وانظر ما يحدث يا كبير !

فذهب وانج لانج للبوابة لارضائه ، وكان الرجال يملأون الشوارع بل يملأون البلدة كلها .. لقد شعر وكأن الهواء وضوء الشمس قد انشطرا فجأة ، بسبب اعداد الرجال فى لونهم الرمادى يسيرون سويا بخطوات ثقيلة عبر البلدة . ونظر اليهم بتمعن ، فرأى أن كل رجل يمسك سلاحا من نوع ما بالاضافة الى سكين طويل .

كانت الوجوه شرسة متوحشة ، رغم أن بعضهم كانوا فتية صغارا .. فسحب الطفل اليه بسرعة ، وهمس :

ـ فلنذهب ، ونغلق البوابة . انهم ليسوا

برجال طيبين لتشاهدهم يا صغيرى ! ولكن فجأة ، وقبل أن يستطيع الاستدارة ، رآه أحد الرجال ، وصرخ فيه :

ـ هاى ، ها هو ابن اعمى !

فنظر وانج لانج جهة النداء ، فرأى ابن عمه .. كان يرتدى نفس زى الاخرين ، وكان أشعث أغبر ، وكان وجهه أكثر توحشا وشراسة من غيره .. وضحك بصوت عال ، ونادى رفاقه :

ـ يمكننا التوقف هنا يا أصدقائى ! انه رجل غنى ، وقريبى !

وقبل أن يستطيع وانج لانج التحرك ، اندفع حشد الرجال عبر بواباته ، وكان عاجزا بينهم .. وانسكبوا مثل المياه الرمادية الفاسدة داخل بيته وأجنحة منزله ، مختلين كل ركن ، ورموا بأنفسهم على الأرض ، وغطسوا بأيديهم فى البركة وشربوا ، والقوا بسكاكينهم على المناضد المصقولة ، وأخذوا

يبصقون حيثما يشاءون ، ويصيحون فى بعضهم البعض .

عندئذ ركض وانج لانج فى يأس مما حدث ، وذهب ومعه الطفل ليبحث عن ابنه الأكبر . فتوجه الى جناح ابنه ، وكان جالسا يطالع فى كتاب ، فنهض عندما دخل أبوه .. وعندما سمع ما همس به وانج لانج خرج مسرعا ، وعندما رأى ابن عمه لم يعرف ان كان سيلعنه أم يكون مؤديا نحوه ، ولكنه ألقى بنظره ، ثم همس فى يأس لأبيه :

ـ كل رجل معه سكين !

فتوخى الحرص وقال :

ـ حسن ، ابن عمى ، مرحبا بك فى منزلك ثانية !

فابتسم ابن عمه بفظاظة ، وقال :

ـ لقد أحضرت بعض الضيوف .



حضور الجنود الى منزل وانج لانج ٠

ـ مرحبا بهم طالما أنهم أصدقاؤك • سنجهز طعاما حتى يأكلون قبل أن يستأنفوا سيرهم •

عندئذ قال ابن عمه ولايزال مبتسما بفظاظة :

ـ افعل ، ولكن لا داعى للعجلة لأننا سنرتاح هنا أياما أو شهرا أو سنة أو اثنتين ، لأن علينا أن تبقى فى هذه البلدة حتى تطلبنا الحرب •

عندما سمع وانج لانج وابنه ذلك ، لم يستطيعا اخفاء اندهاشهما ، وفزعهما ، ولكن كان عليهما أن يتظاهرا بالهدوء بعض الشىء بسبب السكاكين التى تبرق فى كل مكان بالبيت ، لذلك ابتسما قدر استطاعتهما وقالا :

ـ اننا محظوظون •• اننا محظوظون •• !

وتظاهر الابن الأكبر بأنه يجب أن يذهب لتجهيز الأشياء ، وأخذ يد أبيه وأسرعا الى الجناح الداخلى ، وأغلقا الباب بالمزلاج ، ثم نظر الاثنان الأب والابن الى بعضهما فى خوف ، ولم يعرف أحد منهما ماذا يفعل •

عندئذ جاء الابن الثانى راكضا ، وطرق على الباب ، وعندما ادخلوه جلس بسرعة منهارا ؛ وصرخ قائلا :

- الجنود فى كل مكان ، وفى كل منزل .. حتى فى منازل الفقراء .. لقد أتيت راكضا لأقول لكم لايجب أن تقاوموا .. لأن أحد الكتبة الذين يعملون معى فى المحل ، عاد الى منزله فوجد الجنود حتى فى الحجرة التى ترقد فيها زوجته المريضة ، فاشتكى فغرزوا السكين فيه ، وكأنه مصنوع من الزبد .. وبمثل هذه النعومة أيضا خرجت السكين من الناحية الأخرى من جسده ، مهما أرادوا فلنعطيه لهم .. لكن دعونا نصلى لكى تنتقل الحرب قريبا الى أماكن أخرى!

ثم نظر الثلاثة الى بعضهم فى خوف مفكرين فى نسائهم ، وفى هؤلاء الرجال المتوحشين الجياع .. وفكر الابن الأكبر فى زوجته ذات التقاليد والسلوك الحسن وقال :

- يجب أن نضع النساء سويا فى أقصى جناح ،

ويجب أن نراقبهم ليل نهار ، ونغلق البوابات بالمزلاج، ونجهز « بوابة النسلام » الخلفيـة للاستخدام عند اللزوم .

وهكذا أخذوا جميع النساء ، والأطفال ووضعوهم سويا فى الجناح الداخلى ، حيث كانت تعيش لوتس مع كوكو وخدمها ، وعاشوا هناك مكدسين فى حالة انزعاج تام ، وأخذ الابن الأكبر مع وانج لانج يراقبان البوابة نهارا وليلا ، ويلتحق بهم الابن الثانى عندما يستطيع ، ويراقبون بحرص ليل نهار !

ولكن هنـــاك شخصا ، ابن العم ، لايستطيع أحد قانونا أن يمنعه ، لأنه قريب ، فاعتاد ان يقرع البوابة ، ويدخل ليتجول كما يشـاء ، حاملا سكينه البراق فى يده ، ويتبعه الابن الأكبر ، ووجهه ملىء بالمرارة ، ولكنه لم يجرؤ على قول أى شىء ، فالسكين الكبير يبرق ، وابن العم ينقب هنا وهناك ، ويتفحص بلا خجل كل امرأة من الرأس الى القدم .

وعندما شاهد كل شىء ذهب ليرى أمه .. كانت

راقدة على فراشها مستغرقة فى النـــوم حتى انه لم يستطع أن يوقظهـا ، ولكنه ضرب بطرف بندقيتـه السميك بعنف على الأرض حتي استيقظت ٠٠ فحملقت فيه وكأنه خارج من حلم ٠ فقال لها بنفاد صبر :

ـ حسن ، هاهو ابنك ! ومع ذلك تنامين !

فرفعت نفسها من فراشها ، ونظرت اليه لمدة طويلة ، ثم قالت باندهاش :

ـ ابنى ـ انه ابنى ٠٠٠

وأخيرا ، قدمت له غليون الافيون ، وكأنهـا لا تعرف ماذا تفعل غير ذلك ٠

ووقف وانج لانج بجانب السرير ، ودب فيه الخوف فجأة ، فقد يلتفت اليه هذا الرجل من غضب ويقول :

ـ ماذا فعلت بأمى ، لتصبح جـافة وصـفراء هكذا ، وذهب كل لحمها الطيب ؟

فتعجل وانج لانج وقال :

ـ أتمنى ان تقتنع بالقليل ، لأن أفيونها يكلفنا حفنة من الفضة كل يوم ، ولكنها تريده كله ، ولانجرؤ ان نغضبها في سنها .

وتنهد وهو يتكلم ، ونظر خلسة الى ابن عمه ، ولكن الرجل لم يقل شيئا ، بعد أن شاهد ما وصلت اليه أمه .. وعندما سقطت في غفوتها ثانية ، خرج في جلبة ، مستخدما البندقية في يده مثل عصا للسير .

لم يخف وانج لانج وعائلته أحدا من حشد الرجال المتعطلين في الساحات الخارجية ، كما خافوا من ابن العم هذا ، وقام الرجال بتمزيق الأشجار ، والزهور ، وكسروا الكراسي بأحذيتهم الجلدية الضخمة ، وخربوا البرك حيث يسبح السمك ، لذلك مات وطاف على الماء وجانبه السفلي الأبيض الى أعلى .. ويدخل ابن العم ويخرج كما يحب ، ويحلق ببصره في النساء ، فينظر وانج لانج وأبناؤه الى بعضهم

البعض متعبين لأنهم لايجرؤون على النوم ٠
ولاحظت كوكو ذلك كله ، فقالت :

ـ يوجد حل واحد يمكن عمله ٠٠ يجب عليكم أن تعطوه عبدة لمتعته أثناء اقامته هنا ، والا سيأخذ هو من لايجب أن يأخذها ٠٠

اقتنع وانج لانج بما قالته ، فالحياة أصبحت لا تحتمل بكل هذه المضايقات الموجودة بالمنزل ، لذلك قال :

ـ انها فكرة جيدة !

وألقى بنظره الى العبدات اللاتى يقفن من حولهم ، فاشحن بوجوههن وضحكن بحمق ، وتظاهرن بالخجل ٠٠ جميعهن فيما عدا فتاة قروية عفية ، كانت فى العشرين من عمرها أو نحو ذلك ، قالت ووجهها قد احمر من الضحك :

ـ حسن ، لقد سمعت كثيرا بخصوص هذا العمل ، وأحب أن أجرب ذلك ، اذا وافق هو ، انه ليس بالرجل القبيح ٠

فاجاب وانج لانج وهو يشعر بالراحة

ـ حسن ، اذهبى اذن !

وعاش ابن العم مع هذه الفتاة فى المنزل مدة شهر ونصف ، وكانت تتفاخر بذلك • وبعدها جاء نداء الحرب فجاة ، وذهب الحشد مثل أوراق الشجر التى تهب عليها الريح ، ولم يبق شىء سوى الأوساخ ، والخراب الذى صنعوه •

دفع ابن العم بالسكين فى حزامه ، ووقف امامهم ، وبندقيته على صدره ، وقال :

ـ حسن ، اذا لم أعد ثانية ، فلقد تركت حفيدا لأمى • وليس كل الرجال قادرين أن يتركوا أبناء حيثما وقفوا لشهر أو لاثنين ، هذا من مميزات حياة الجندية •• فبذرتنا تظهر خلفه ، وعلى الآخرين العناية بها •

وهكذا ضحك لهم جميعا •• وذهب فى طريقه .

وعندما ذهب الجنود ، اتفق وانج لانج ، وولداه الكبيران ثلاثتهم لأول مرة ، وقرروا ازالة كل ما حدث من تخريب • فاستأجروا عمالا مهرة قاموا باصـــلاح الأثاث المكسور ، وأعمال الزخرفة • وقام الرجال من الخدم بتنظيف الساحات ، فافرغوا البرك ، ونظفوها، ووضعوا بها مياه نظيفة •• واشتروا مرة أخرى سمكا ذهبيـا جميلا ، وقاموا بزراعة مزيد من الأشـــجار المزهرة ، وبتهذيب الأشجار المتبقية ، وازالة فروعها المكسورة •

وفى خلال سنة أصبح المكان نظيفا ، ومزدهرا مرة آخرى ، وانتقل كل ابن الى جناحه ، وعاد النظام الى كل مكان •

وأمر وانج لانج العبدة التى عاشت مع ابن عمه أن تخدم زوجـة عمه طول حياتهـا ، التى قد تكون طويلة • وسره أن هذه العبدة قد أنجبت بنتا ليس الا ، لأنهـا اذا كانت ولدا لأصبحت فخورة . وربما طالبت بمكان فى العائلة ، ولكن طالما أن المولود مجرد بنت ،

فالأمر لايتعدى عبدة أنجبت عبدة ، ولم تصبح أكثر اهمية مما كانت عليه من قبل ، ومنحها قطعة فضة ٠٠ وكانت المرأة سعيدة بما فيه الكفاية ، وكان هناك شيء واحد أخبرته لوانج لانج عندما أعطاها الفضة :

ـ احتفظ بالفضة ياسيدى كهدية زواج ، وزوجني لمزارع أو لأى رجل فقير طيب ، فبعد أن عاشرت رجلا فمن الصعب على أن أعود الى فراشى وحيدة ٠

ووعدها وانج لانج بذلك ٠ وهنا تذكر ٠٠ فهاهو يعد امرأة لرجل فقير ٠٠ وكان هو الرجل الفقير ذات مرة ، قادما الى نفس هذا القصر لامرأته ، وبالرغم من أنه لم يفكر فى أو ـ لان منذ مدة طويلة ، الا أنه يفكر فيها الآن بحزن ٠٠ مع ثقل فى تذكر الأشياء البعيدة ، لقد أصبح بعيدا جدا عنها الآن ٠

وبعد فترة ليست طويلة ، جاءته المرأة قائلة :

ـ نفذ وعدك ياسيدى ، فلقد ماتت العجوز

فى الصباح الباكر ، دون أن تستيقظ على الاطلاق ، ولقد وضعتها فى تابوتها .

وتساءل وانج لانج ، أى رجل يعرف حاليا فى أرضه ، فتذكر الصبى الغبى الضخم ، الذى تسبب فى وفاة شينج ـ الصبى ذا الأسنان البارزة من فوق شفته السفلى ـ وفكر :

ـ حسن ، انه لم يكن يقصد ما فعل ، فهو طيب كالآخرين ، وهو الشخص الوحيد الذى أستطيع أن أفكر فيه الآن .

لذلك أرسل الى الصبى ، لقد كبر الآن ، وأصبح رجلا ، لكنه لايزال غبيا ، وأسنانه لاتزال كما هى .

وكان من دواعى سرور وانج لانج أن يجلس على الكرسى ذى الزخارف فى القاعة الكبيرة ، وينادى الاثنين أمامه ، وقال بهدوء حتى يتذوق النكهة الكاملة لهذه الخطة الغريبة .

ـ ها هنا .. يا رجل .. هذه المرأة . انها لك ان أردت ، ولم يعرفها أحد فيما عدا ابن عمى !

فأخذها الرجل بامتنان ، حيث انها كانت بنتا فارعة ، طيبة الطباع ، وكان هو معدما ، لايقدر على الزواج من أية امرأة سوى واحدة مثلها .

ونزل وانج لانـج من فوق الكرسى الكبير .. وبدا له وكان هدفه فى الحياة قد انتهى ، فلقد فعل كل ما قال انه سيفعله ، بل أكثر مما كان يحلم ، ولم يعرف هو نفسه كيف تم كل ذلك .. وبدا له أن السلام يمكن أن يأتى اليه حاليا ، وينام فى الشمس. فهذا هو الوقت المناسـب لذلك . أصـبح عمره خمسة وستين عاما ، وأحفاده جميعهم حوله .

وجاءه ابنه الأصغر ، وكأنه انتهز فرصة عدم وجود مضايقات .. كان ولدا هادئا ومشغولا دائما بكتبه ، حتى لم يعره أحـد التفاتا ، الا على انه ولد شاحب ، نحيل ، وكتبه تحت ذراعه دائما ، ومدرسه العجوز يتبعه من ورائه كالكلب .. لكن الولد عاش

بين الجنود أثناء وجودهم هناك ، وسمعهم يتكلمون عن القتال ، والسلب والمعارك ، وأنصت الى كل ذلك فى شغف ، ولكنه لم يقل شيئا • وعندئذ طلب من مدرسه العجوز ان يمده بكتب عن قصص حروب الممالك الثلاث فى الصين فى قديم الزمان ، وعن اللصوص الذين عاشوا فى الأزمان الغابرة حول بحيرة سوى ، وامتلأ رأسه بالأحلام •

وهكذا ذهب الى ابيه وقال :

ـ انى أعرف ما سأفعل ، سأكون جنديا ، وسأذهب الى الحروب !

وعندما سمع وانج لانج ذلك شعر بأن هذا هو أسوأ شيء يمكن أن يحدث له ، فصرخ فى صوت عظيم :

ـ ما هذا الجنون ؟ الا يمكن أن أعيش في سلام مع أبنائي ؟

وتجادل مع الولد ، وحاول أن يكون لطيفا

وعطونا ، فعندما رأى حاجبيه السـوداوين يلتحمان ويصبحا خطا واحدا ، قال :

ـ يابني ، لقد قيل قديما : لا يأخذ الرجال الحديد الجيد ليصنعوا به مسمارا ، ولا الرجل الجيد ليصنعوا منه جنديا ، وانت ابني الصغير ، ابني الأصغر المفضل ، كيف أنام الليل وأنت تدور في الأرض ، تذهب هنا وهناك مع الحروب ؟

لكن الولد كان مصمما ، فنظر الى والده وأرخى حاجبيه السوداوين وقال فقط :

ـ سأذهب !

ـ يمكنك أن تذهب الى أى مدرسة تحب ، اذا تركت فكرة أن تكون جنديا ، انه من العار على رجل مثلي يمتلك الفضة والأرض ، ويكون ابنه جنديا !

ولكن ظل الولد صامتا ..

ـ أخبرني لماذا تريد أن تكون جنديا ؟!

فقال الولد فجأة ، وعيناه تبرقان :

ـ ستأتى حرب لم نسمع بمثلها .. ستأتى ثورة وقتال وحرب لم توجد مثلها ، وستتحرر أرضنا !

انصت وانج لانج الى ذلك فى دهشة فائقة وقال:

ـ لا أعرف ، ماكل هذا الكلام الفارغ ، ان أرضنا حرة من قبل ، كل أرضنا الطيبة حرة ! لقد اجرتها لمن أحب .. وهى تجلب لى الفضة والغلال الطيبة . ولقد كسيت أنت وأطعمت منها ، ولا أعرف الحرية التى تريدها أكثر مما لديك .

لكن الصبى قال فى مرارة :

ـ انك لاتفهم .. فأنت عجوز على ذلك .. أنت لا تفهم شيئا !

اندهش وانج لانج وهو ينظر الى ابنه ، لقد رأى المعاناة فى وجه الشاب **وفكر فى داخله :**

ـ لقـد أعطيت هذا الابن كل شيء .. لقـد سـمحت له أن يترك الأرض ، حتى لم يعد عنـدى ابن يرعاها من بعدى ، لقد تركته يقرأ ويكتب ، رغم أنه لا داعى لذلك ، لوجود اثنين فى أسرتى يفعلان ذلك من قبل ، لقد حصل على كل شيء منى .

ونظر الى ابنه عن كثب ، فرآه رجـلا فارعا ، رغم نحافته وصغر سنه ، فقال لنفسه بريبة :

ـ حسن ، ربما كان يحتـــاج الى ما هو أزيد مما أعطيته ..

ولذلك قال بصوت مرتفع ، وببطء :

ـ حسن ، سنزوجك فى اقرب وقت يابنى !

فاومض الصبى بنظرة من نار نحو أبيه من تحت حاجبيه الثقيلين وقال باحتقار :

ـ عندئذ سأفر فورا ، فالمرأة بالنسبة لى ليست حلا لكل شيء ، كما هى عند أخى الاكبر !

فرأى وانج لانج فى الحال أنه كان مخطئـــا ، لذلك قال بسرعة معتذرا :

ـ كلا .. كلا .. فلن نزوجك .. لكن ، أقصد، اذا كانت هناك عبدة ترغبها ..

فاجاب الصبى بنظرات كلها كبرياء وكرامة :

ـ اننى لست بشاب عادى ، فلدى أحـــلامى ، واتطلع الى المجد ، والنساء موجودة فى كل مكان

ثم استدار ومضى ..

جلس وانج لانج فى حجرته بجانب المنضـــدة بمفرده ، وهو يشعر بالحزن والوحدة ، وهمس لنفسه:

ـ لم يعد لدى مكان فى هذا المنزل ..

ولما جاء صباح اليوم التالى .. كان ابن وانـج لانج الأصغر قد ذهب .. الى أين ؟ ..

لا أحد يعرف !

الفصل الثالث عشر

وهكذا زحف العمر على وانج لانج يوما بعد يوم ، وسنة بعد سنة ·· ونام فى الشمس ، كما كان يفعل أبوه ، وقال لنفسه ، أن حياته قد انتهت ، وأنه كان راضيا بها · وأحيانا كان يذهب الى الجناح الآخر ·· ولكن نادرا ·· فلوتس أصبحت عجوزا أيضا ، قانعة بالطعام ، والنبيذ الذى تحبه وبالفضة التى لم تطلبها أبدا · وعندما ذهب الى أجنحة أولاده عاملوه بأدب ، وركضوا ليأتوا له بالشاى ، وطلب أن يرى آخر مولود ، وسأل مرات عديدة ، لأنه كان ينسى بسرعة :

ـ كم حفيد لدى الآن ؟

فكانوا يجيبونه على الفور :

ـ أحد عشر ولدا ، وثمانى بنات !

ـ اذن ، أضيف اثنين لكل عام ، وسأعرف العدد، أليس كذلك ؟

ثم يجلس فترة قصيرة ، وينظر الى الاطفال الذين يتجمعون لينظروا اليه • لقد أصبح احفاده صبية طوالا الآن ، فكان ينظر اليهم ليرى من يشبهون •• **ويقول لنفسه :**

ـ هذا يشبه جده الاكبر •• وهذا هو التاجر ليو الصغير •• وهذا هو أنا عندما كنت صغيرا •

ويسألهم :

ـ هل تذهبون الى المدرسة ؟

فيجيبون سويا :

ـ أجل ، ياجدى !

ـ هل تدرسون الكتب الأربعة (*) ٠

فيضحكون باحتقار واضح ويقول بعضهم :

ـ كلا ، أيها الجد ٠ فلا أحد يدرس الكتب الاربعة منذ الثورة !

ـ آه ! لقد سمعت عن الثورة ٠٠ لكننى كنت مشغولا طوال حياتى ، فلم أحضرها ٠٠ فالارض موجودة دائما ٠٠

وضحك الأولاد على ذلك ونهض وانج لانج شاعرا برغم كل شىء انه مجرد ضيف فى بيت أبنائه ٠

وقال ذات مرة لكوكو :

ـ هل سمع أحد أخبارا عن ابنى الأصغر ، أو عرف اين ذهب طوال هذه الفترة ؟

(*) كتب قديمة كتبها كونفوشيوس ، وكانت تدرس في جميع المدارس بالصين ٠

فاجابت كوكو (حيث لا يوجد شيء لا تعرفه في هذا القصر) :

ـ حسن ، لم يكتب ولا رسالة ، ولكن يأتي من حين آخر من يقول انه أصبح مسئولا بالجيش ، وله اهمية في شيء يدعونه الثورة هناك ، ولكن ما هي ؟ لست أدري .. ربما كانت نوعا من الأعمال .

كان يود أن يفكر في هذه الثورة ، ولكن المساء كان يهبط ، وعظامه تتوجع من الهـواء الذي يزداد برودة عندما تغرب الشمس . ويذهب عقله حاليـا حيثما يشاء ، ولا يقدر على أن يحتفظ به في موضوع واحد ، وكانت حاجة جسده العجوز للطعام وللشاي الساخن أقوى من أي شيء .

ودارت دورة الزمن ، وجاء الربيع سنة وراء سنة .. كان شعوره بقدومه يخفت مع مرور السنين .. ولكن شيئا واحدا ظل معلقا في ذاكرته .. حـب رضه ! ..

لقد بعد عنها ، بعـــد ما بنى منزله فى البلدة وأصبح غنيا ٠٠ ولكن جذوره كانت فى أرضـــه ، وبالرغم من أنه نسيها لعدة شهور ، الا أنه كان يذهب اليها كل عام عندما يأتى الربيع ٠٠

أنه لا يستطيع حاليا أن يمسك بالمحراث أو يفعل أى شىء سوى مراقبة غيره يقود المحراث عبر الأرض ومع ذلك كان يذهب ٠٠ وكان أحيانا يأخذ خادما مع فراشـــه وينـــام ثانية فى المنزل الترابى ، حيث ربى أطفاله ، وحيث ماتت أو ـ لان ٠٠ وعنـــدما يستيقظ مبكرا مع شروق الشمس ، يذهب ، ويلتقط بيديه المرتعشتين بعض الازهار ، وقليلا من الأوراق الصغيرة من احدى الاشجار ٠٠ ويظل ممسكا بها فى يده طوال اليوم ٠٠

وفى أحد الايام ، مع اواخر الربيـــع ، واقتراب الصيف ، كان يتجول هكذا ، فسار فوق حقوله قليلا حتى وصل الى المكان المحاط بالسور فوق التل ، حيث دفن موتاه ٠٠ ووقف يرتعد مستندا على عصاه ٠٠

ونظر الى المقابر ، فتذكر كل واحد من موتاه ، وكانوا أكثر وضوحا الآن عن أبنائه الذين يعيشون فى منزله . وسرح ذهنه الى الوراء عددا من السنين ، ورای کل شیء بوضوح .. حتى ابنته الصغيرة الثانية ، التى لم يسمع منها أى شيء منذ مدة أطول مما يستطيع أن يتذكر .. رآها بنتا صغيرة جميلة ، كمـــا كانت فى منزله . ثم فكر فجأة :

ـ سوف أكون التالى

ودخل وراء السور ، ونظر باهتمام الى المكان الذى سيرقد فيه ـ تحت ابنه وعمه ، وفوق شينج ، وقريبا من أو ـ لان .. ونظر بصعوبة الى قطعة الارض التى سيرقد فيها ، فرأى نفسه فيها .. عائدا الى أرضه.. والى الأبد !

وفكر فى نفسه :

ـ يجب أن أرى التابوت !

واحتفظ بهذه الفكرة فى ذهنه الى أن عاد للبلدة، وارسل الى ابنه الاكبر ، وقال :



وانج لانج بين مقابر موتاه ..

ـ هناك شيء أريد قوله ٠

ـ اذن ، قله ، فأنا هنا !

ولكن عندما أراد وانج لانج أن يتكلم ، لم يستطع فجأة ، أن يتذكر ما هو الذى اراد ان يقوله ٠٠ وطفرت الدموع من عينيه ، لانه احتفظ بالموضوع بكل الم فى ذهنه ٠٠ والآن انزلق وفر منه ٠ ثم هب الموضوع فجأة الى ذهنه ثانية ، فصرخ ضاحكا من خـــــلال عينيـــــه المبتلتين :

ـ يا بنى ٠٠ لقد اخترت مكانا فى الارض ٠٠ ان أسفل ابى وأخيه ، وفوق امك ، وبجوار شينج ، واحب ان ارى تابوتى قبل موتى ٠

عند ذلك صرخ ابنه الأكبر بادب وبشكل مهذب :

ـ لا تقل هذه الكلمة يا ابى ! ولكنى ، سأفعل كما تقول به ٠

واشترى ابنه تابوتا فخما ، مقطــوعا من كتلة كبيرة من خشب ، حلو الرائحة ٠٠ يدوم كما يدوم

الحديد ، ويدوم أطول من العظـــام البشرية . وطلب وانج لانج التابوت فى حجرته .. وأخذ ينظر اليه كل يوم .. وأصبح مرتاحا ..

ثم فكر فجأة فى شىء آخر وقال :

ـ آه لو نقلتموه الى المنزل القديم المصنوع من التراب ، فهناك سأعيش أيامى الباقية .. وهنـــاك سأموت ؟

وعندما رأوا كيف صمم على ذلك ، قاموا بما رغب وأرسلوا بكل الخدم الذين يحتاجهم .. وهكذا عاش ثانية على أرضه ، وترك المنزل الذى فى البلدة للأسرة التى قد كونها .

ومضى الربيع .. وكذلك الصيف ، الى وقـــت المحصول .. وفى شمس الخريف الساخنة ، قبـــل مجىء الشتاء ، جلس وانج لانج ، حيث كان يجلس مع ابيه مستندا على الجدار ، ولا يفكر فى أى شىء سوى طعامه ، وشرابه ، وأرضه .. ولم يعد يفكر فيما سيأتى

به محصول أرضه أو بأى البذور ستبذر أو فى أى شىء آخر سوى الأرض نفسها ٠٠ وينكفىء أحيانا ويجمع بعضا من التراب فى يده ، ويجلس ممسكا به فيبدو نابضا بالحياة بين أصابعه ٠٠ ويفكر فى هذا التراب وفى تابوته الطيب ٠٠ لقد انتظرت الارض الرؤوم دون تعجل ، حتى ياتى اليها ٠٠ !

وكان ابناؤه بارين به تماما ٠٠ يحضرون كل يوم ليروه ، أو على الاقل كل يومين ويرسلون اليه طعاما شهيا ، ليدخلوا عليه السرور فى سنه الكبير ولكن افضل ما كان يحبه ، هو طحين الذرة مع الماء الساخن ، وياكله كما كان يفعل أبوه من قبل ٠

واحيانا كان يشتكي قليلا لان ابناءه لا يحضرون كل يوم لرؤيته ويقول لخادمه :

– ترى ٠٠ ماذا يشغلهم ؟!

واذا قال الخادم :

– انهم مشغولون فى الحياة ، فلديهم الكثير من

الأمور ، فابنك الأكبر قد نصبوه مسئولا عن البلدة . مع غيره من الأعيان ، وابنك الثانى يقـــوم بتأسيس سوق للغلال كبير لنفسه ·

عندئذ كان ينصت بامعان ولكنه لا يستطيع أن يفهم كل ذلك ·· وينساه حالما ينظر الى أرضه ·

وفي أحد الأيام شاهد ولديه وهما يتجهان صوب الأرض ، فتبعهما فى صمت ·

وسمع وانج لانج ابنه الثانى يقول فى صـــوته الرقيق :

ـ سنبيع هذا الحقل وذاك الحقل ، وسنقسم النقود بيننا بالتساوى ، وسأقترض منك نصـــيبك بفائدة طيبة ، اذ يمكننى حاليا ، بعد وجود السكة الحديد أن أرسل الأرز الى ساحل البحر ، وأنا ··

وسمع الرجل العجوز كلمات « بيع الارض » فقط **وصرخ غاضبا ، ولم يستطع أن يحفظ صـــوته من الانكسار والارتعاش :**

ـ آه يا أولاد يا فاسدين ٠٠ يا كســالى ! ٠٠ تبيعون الارض ؟!

وأوشك على الوقوع ، ولكنهما أمســكا به ، واسنداه ٠٠ وبدأ يبكى ٠٠

فقال الولدان برقة :

ـ كلا ٠٠ كلا ٠٠ اننا لن نبيع الأرض مطلقا !

فقال لهما بانكسار :

ـ انها نهاية الأسرة ٠٠ عندما يبدأ الاولاد في بيع الأرض ٠٠ فمن الارض جئنا ٠٠ واليها حتمــا سنذهب ٠٠ فاذا احتفظتم بأرضكم أمكنكم أن تعيشوا ٠ ولا يستطيع أحد أن يسلبها منكم ٠٠ !

وترك الرجل العجوز دموعه لتجف على وجهه ، فتركت أثرا عليه ، وانكفأ آخــذا حفنــة من التربة **وأمسك بها وهمس**

ـ اذا بعتم الأرض ، فستكون النهاية !

فأمسك به ولداه ، واصدا من كل ناحية ، وكل ممسك بذراعه .. وكان هو يقبض على التراب الناعم الدافيء باحكام في يده .

وقال الولدان ليـدخلا الى قلبــه شــــيئا من الطمانينة :

ـ لا تقلق يا أبى ، يمكنك أن تتأكد من ذلك .. الارض لن تباع !

ولكن من فوق رأس الرجل العجــوز ، نظرا لبعضهما وابتسما .. !!

فهرس

الموضوع	الصفحة

رقم الايداع ٧٩٨٢ / ٩٨

977-01-5718-X

بيرل بك مؤلفة هذه الرواية حصلت على جائزة نوبل للأداب سنة ١٩٣٨. وتعتبر رواية «الأرض الطيبة» من أهم أعمالها، بل وتعتبر أيضاً من أعظم الأعمال الأدبية التى تتكلم عن كفاح الإنسان ضد البيئة وضد الظروف السيئة التى تحاصره وتحاول قهره وإذلاله.. إنها متعة حقيقية أن تعيش مع هذه الأسرة الصينية التى ذاقت الأهوال التى لا يمكن تصديقها!

مكتبة الأسرة



بسعر رمزى جنيه واحد
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

